

جامعة غرداية



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية



-شعبة التاريخ-

## الأوبئة والمجاعات في تلمسان (633 هـ - 962 هـ / 1236 م - 1554 م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الأوسط

إشراف الأستاذ

أ / أحمد دمانة

إعداد الطالبتين:

- تركية قوادري

- ثلجة حمايمي

لجنة المناقشة :

الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ / دمانة أحمد	أستاذ مساعد أ	جامعة غرداية	مشرفا
د / طاهر بن علي	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	رئيسا
د / بكير ابراهيم بحاز	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	مناقشا

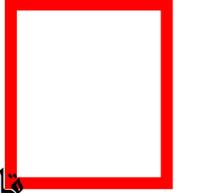
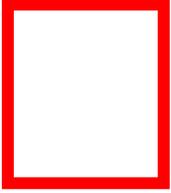
الموسم الجامعي:

1438 - 1439 هـ / 2017 - 2018 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# شكر و عرفان



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة".

الشكر والثناء لله عز وجل الذي وهبنا القوة والعزيمة وسهل علينا سبل المثابرة والنجاح فالحمد لله حمداً يليق بوجه كرمه وجلالته على حجم المن والعطاء من صحة وعافية لإتمام هذا العمل المتواضع.

إن الاعتراف بالجميل ما هو إلا جزء يسير من رده ولأن الكلمات كل ما نملكه إزاء من غمرنا بالجميل ونخص بالذكر الأستاذ الفاضل دمانة احمد الذي لم يبخل علينا يوماً بالنصح والإرشاد.

نتقدم بالشكر الخالص إلى كل من ساهم في دفع وتيرة هذا العمل ومد يد العون والمساندة ولو بكلمة طيبة.

و إلى كل من كان له الفضل في إنجاز هذا البحث.

ونتقدم بالشكر إلى كل من تمنى أن يرى عملينا هذا شيئاً ملموساً وإلى كل من سره نجاحنا والشكر لله من قبل ومن بعد.



# إهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب لحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك والصلاة وسلام على من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم. إلى من جرع الكأس ليستقيني قطرة حب إلى من كلفه الله بالوقار إلى من علمني العطاء من دوني انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار إلى والدي العزيز أطال الله في عمره.

إلى من تعجز الكلمات والأحرف عن وصفها إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب والحنان ومعنى التفاني إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي، إلى التي جعل الله والجنة تحت ثرى قدميها إلى أمي الحبيبة أطال الله في عمرها.

إهداء خاص إلى: ربحانة قلبي ومصدر سعادتي ق. بلال

إهداء خاص إلى أختي التي أعناتني ماديا ولها أسمى معاني الشكر فطوم، واخوتي جميع عائلة قوادري من بعيد أو من قريب.

إلى من حوتني في بيتها ورعتني مثل أمي حبيبتني سايح بن عيسى حدة وزوجها وأولادها خاصة العزيزين سلمى وياسين والكتكوت الحزون محمد، وعبد الجليل ويوسف ومحمود، ويونس إلى عمتي الغالية اسكنها الله فسيح جنانه ورحمها واسع رحمته، مباركة. إهداء خاص إلى عائلة قباني.

إلى صديقتي: مريم، بحرية، حياة، زهرة، رنجة، أميرة، فطوم، و... وجميع الصديقاتي التي عرفتهم طيلة حياتي. إلى من وقف معي طيلة سنوات الدراسة وأعانتني وزاد الله من فضله بوزيد طاهر. إلى صديقتي في هذا العمل، ثلجة، وألى كل عائلة حامي.

إلى كل من قرأ هذه المذكرة لكم تحياتي الخالصة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تركية



# إهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب لحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك والصلاة وسلام على من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم .  
إلى من جرع الكأس ليسقيني قطرة حب إلى من كلله الله بالوقار إلى من علمني العطاء من دوني انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار إلى والدي العزيز أطل الله في عمره .  
إلى من تعجز الكلمات والأحرف عن وصفها إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب والحنان ومعنى التفاني إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي، إلى التي جعل الله والجنة تحت ثرى قدمها إلى أُمي الحبيبة أطل الله في عمرها .

إلى عايلة آل حمائي أخص بالذكر أختي رزيقة ومرت اخي الغالية زهية وأولادها الأعتزاء، ريان ومحسن الغاليين على قلبي و جويده، وبناتها نسرین. و منار وأنيس وضأوية ومروة ، بنتها الكتكوتة خديجة وكل عائلة بوقرين التي حوتني

إهداء خاصة إلى صديقتي الغالية فاطمة لعور التي أهدتني جهازها الكومبيوتر .  
إلى جميع صديقاتي : كلثوم، عيشة، شهرة، حدة، صونيا، سارة، شياء،  
إلى صديقة دربي والتي عملت جاهدة في هذا العمل الحبيبة والغالية تركية قوادري

و لكم أسمى عبارتي الشكر والتقدير .

ثلجة



قائمة المختصرات :

الرمز	المدلول
ت:	توفي
تر:	ترجمة
تق:	تقديم
تع:	تعليق
ج:	جزء
د-ت :	دون تاريخ
د-ن:	دون نشر
ص:	صفحة
ط:	طبعة
ع:	عدد
ق:	قرن
م:	ميلادي
هـ:	هجري

مقدمة

شهد المغرب الأوسط في فترته الوسيطة أزمات أثرت على السيورة الطبيعية للبلاد سواء على المستوى السياسي، أو الإقتصادي، أو الإجتماعي، وتعد المجاعات والأوبئة التي تندرج ضمن ما يعرف بالأزمة، وتلمسان هي الأخرى كانت قد عاشت مثل هذه الظروف خاصة خلال العهد الزياني، والتي كانت تقف وراء جملة من الأسباب، وبغض النظر عن هذه الأسباب التي اتضحت طبيعتها إلا أن المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط لقيت كتابات شحيحة عند بعض المؤرخين على عكس ما كتب بإسراف عن الحياة السياسية مثلا، والتي كانت ذات طابع حربي فكان الاهتمام بسير هذه الأحداث كبيرا، لذا فانها تحتاج إلى دراسة كافية و أكثر توضيحا عن ما أهمل في تلك الفترة التي مر أهل تلمسان، و لاتزال هذه الأزمات محل حدوث إلى يومنا هذا كونها متجددة ناتجة عن ظاهرة ما ولا يمكن حصرها في حقبة معينة من الزمن.

### أهمية الموضوع:

لذا فإن أهمية موضوع المجاعات والأوبئة خلال العهد الزياني في تلمسان تكمن في: محاولتنا تسليط الضوء عن هذه المرحلة الصعبة التي عاشتها البلاد و التي حالت دون شك الى قلب الموازين وتغيير مجرى حياة الإجتماعية التي بدورها اثرت سلبا على الجوانب المرتبطة بها والتي زادت من حدة هذا الوضع .

ونظرا لأن الوباء والجوع كانا ولايزالان يشغلا بال الباحثين، و إلى ندرة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع ، لذا فان اختيارنا عليه قد وقع رغبة منا ومحاولة في أن نبحث فيه أكثر وعلى هذا يكون موضحا في بعض التساؤلات منها :

## الإشكالية:

ماهية المجاعات والأوبئة؟ وفيما تمثلت الأوبئة والمجاعات في تلمسان؟ و ماهي النتائج التي ترتبت عنها؟

## المنهج المتبع:

و للإجابة على كل هذا اتبعنا منهجا وصفيا يتخلله التحليل.

## حدود الدراسة :

أما حدود دراسة هذا الموضوع فقد كانت في تلمسان أثناء حكم الزيانيين من قيام دولتهم سنة 633هـ الى غاية نهايتها سنة 962هـ.

## شرح الخطة:

ونظرا لما توفر لنا من مادة علمية اتبعنا بناءا منهجيا، قسمنا فيه بحثنا الى فصل تمهيدي وثلاث فصول والذي سوف نشرحه كالأتي:

**الفصل تمهيدي:** وفيه عرفنا بعض المصطلحات والمفاهيم عن المجاعات والأوبئة، لا كما بينا فيه المفهوم الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط وتلمسان إضافة إلى الإطار الزمني.

**يليه فصل أول:** ويشمل دراسة عامة للأوضاع السياسية والاجتماعية و الاقتصادية للدولة وقد قسمناه الى ثلاثة عناصر :

**العنصر الأول:** وفيه التطورات السياسية لأهم المحطات والمراحل التي مرت بها الدولة.

**العنصر الثاني:** : فقمننا بدراسة عامة للأوضاع الاجتماعية، فتحدثنا باختصار عن المجتمع الزياني من حيث عناصره السكانية المحلية أو المتوافدة على تلمسان والتي قسمت إلى طبقات،

**العصر الثالث:** أما الأوضاع الاقتصادية فتطرقنا فيها إلى الزراعة ، بداية ذكرنا أهم الأراضي و الإقطاعات في الدولة، ثم النظم المتبعة وأهم المنتوجات والمحاصيل، أما الصناعة فحصرناها في أهم الصناعات التي تميزت بها تلمسان وفيما يخص التجارة فقد قسمناها إلى تجارة خارجية وتجارة داخلية بناء على نظمها.

**أما الفصل الثاني:** وقد شرحنا من خلاله أسباب حدوث المجاعات والأوبئة وكانت منها الطبيعية و بشرية.

**الفصل الثالث:** ذكر فيه أهم المجاعات الواقعة في تلمسان بالإضافة إلى الأوبئة التي اجتاحت المغرب وتلمسان خاصة.

أما عن النتائج التي ترتبت عن المجاعات والأوبئة فقد صنفناها إلى نتائج اجتماعية، واقتصادية وسياسية وفيما ذلك بعض الآثار النفسية التي تمثلت في بعض القيم الأخلاقية والسلوكيات الأخلاقية.

### عرض لأهم المصادر:

واعتمدنا في بحثنا على جملة من المصادر أهمها:

### كتب التاريخ العام منها :

-العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمن ابن خلدون ت(808هـ / 1406م )، وهو كتاب يشمل التاريخ بشكل عام، وقد أفادنا الجزء السابع منه الذي اختص بتاريخ الدولة الزيانية وقد شرح لنا أحداث الحصار الطويل سنة 698هـ والمجاعة التي تزامنت معه كما أشار إلى بعض الكوارث والأوبئة التي اجتاحت المغرب الاوسط.

-مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون، والذي أفادنا بمعرفة أسباب المجاعات والأوبئة والتي قال عنها أنها تحدث أوآخر عمر الدول، بالإضافة إلى وصفه للوباء العام الذي وقع سنة 749هـ.

-الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس لأبي زرع الفاسي الذي ذكر فيه ملوك المغرب وعن مسيرتهم السياسية وقد أشار إلى مجاعة تلمسان أثناء أيام الملك المريني بعقوب بن عبد الحق عند قيامه بحصار بني زيان.

-بغية الرواد في ذكر الملوك لبني عبد الواد لأبي زكريا يحي ابن خلدون (ت1378/708م) الذي ذكر هو أيضا عن ملوك الدولة الزيانية وعن أهم إنجازاتهم وحروبهم مع الدولة المرينية و ما نشأ عنها وقد خص بالذكر المجاعة العظمى سنة698هـ وما نتج عنها إضافة إلى المجاعة التي كانت سنة776هـ.

-تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان لمحمد بن عبد الله التنسي، فهو لا يقل أهمية عن كتاب البغية كونه هو الآخر تكلم عن الحصار و المجاعة التي تزامنت معه.

كتب النوازل نذكر منها:

-المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب لأحمد بن يحيى الونشريسي (ت 914-1508م)، وقد أفادنا كثيرا في الزراعة ومسائل الأراضي والإقطاعات فضلا عن التجارة ونظمها وكذلك عن بعض الفتاوى المتعلقة بالطاعون.

كتب المناقب و منها:

- ابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/1408م) الذي عنوانه أنس الفقير وعز الحقير وقد دون فيه ابن قنفذ رحلته الى المغرب الاقصى التي بدأت سنة 716هـ وانتهت سنة 776هـ التي فيها زار مدينة تلمسان ووصف لنا المجاعة التي عاصرها وكان حينها بقرية العباد.

- المناقب المرزوقية لابي عبد الله محمد ابن مرزوق التلمساني (ت781هـ)، وقد ساعدنا في ذكره لبعض علماء تلمسان الذين ماتوا بتلمسان.

و و ظفنا أيضا كتب الرحلات والجغرافيا ومنها:

-وصف إفريقيا للوزان الفاسي (ت959هـ/1559م) وقد خدمنا في الموضوع بصفة كلية تقريبا من حيث الإطار الجغرافي لمدينة تلمسان (حدودها، وطبيعتها، وموقعها) وأيضا في المجتمع الزياني من حيث تقسيم طبقاته، إضافة الى الاقتصاد الزياني، إضافة إلى الزراعة فقد فصل في المزروعات التي تنبتها كل منطقة حسب طبيعتها (أي الغطاء النباتي) وحتى في الأوضاع السياسية للبلاد، كما أشار إلى المجاعة الكبرى وأعطى لنا احصائيات التي خلفتها بالإضافة إلى حديثه عن الوباء العام الذي اجتاح العالم وكيف كان معظم الناس يداوونه.

-المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب لأبي عبيد الله البكري وهو جزء من كتاب المسالك والممالك يعتبر كتاب جغرافي يتكلم فيه الكاتب عن وصفه للبلدان والدول والطرق التي تصل فيما بينها وقد أفادنا في وصفه لمدينة تلمسان .

-الرحلة المغربية لمحمد ابن محمد الحاحي (العبدري) ت 820هـ وقد تكلم عن رحلته اثناء طريقه لأداء فريضة الحج والتي مر فيها بكثير من المدائن ثم اقبل راجعا إلى تلمسان حيث وصفنا حالها.

-معيار الإختبار في ذكر معاهد والديار للسان الدين بن الخطيب السلماي(ت776هـ) وقد أفادنا في ذكره للوباء الذي وقع سنة 764هـ عند زيارته لمدينة مكناسة وفاس وقد أعطى لنا صورة عنه من خلال وصفه لنا.

ومن كتب الحسبة و الأحكام نذكر:

-تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر لمحمد أبي سعيد العقباني التلمساني (ت860هـ/1455م) وهو كتاب يرصد فيه صاحبة أوضاع خطة الحسبة وموقف القضاة في بعض المظاهر التي تؤدي إلى حدوث المجاعات، كاحتكار السلع والغش ورفع قيمة الأسعار أوقات المجاعات.

### الدراسات السابقة:

أما عن الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع كانت محدودة فنجد منها: جوائح و أوبئة المغرب في العهد الموحدين لحسين بولقطيب، الذي تناول فيه عن مفهوم مصطلح الجائحة اللغوي والفقهي كما ذكر الكوارث الطبيعية والجوائح وبين أسبابها، وكتاب الكوارث الطبيعية في المغرب والأندلس لعبد الهادي البياض والذي كتب فيه عن الكوارث الطبيعية التي حدثت في الفترة من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري، أيضا أطروحة الدكتوراه لسميرة المزدكلي التي تحمل عنوان المجاعات والأوبئة بالمغرب الوسيط (534-776هـ/1139-1375م) وفيها عن المجاعات والأوبئة التي شهدها المغرب الأقصى خلال الفترة الوسيطة، إضافة إلى بعض المقالات منها: أثر القحط والمجاعات والأوبئة على الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأقصى خلال أواخر العصر الوسيط لمحمد ياسر الهاللي

أما عن الدراسات في المغرب الأوسط فقد تكون منعدمة إلا ما كتب في الفترة الحديثة منها: تلمسان في العهد الزياني(633-962هـ) لعبد العزيز فيلالي، والذي ذكر فيه عن المجاعات والأوبئة في جزئية قليلة عن الأحوال الصحية من هذا الكتاب، و رسالة ماجستير التي تحمل عنوان المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م) لمزدور سمية، التي ذكرت فيها المجاعات والأوبئة وأسبابها ونتائجها كما أفاضت الحديث عن الأمراض المنتشرة بصفة عامة وطرق

علاجها المختلفة في الفترة الوسيطة، كما لا ننسى المقال الذي كتبه خالد بالعربي عن المجاعات والأوبئة في تلمسان من (698-845هـ/1299-1442م) .

ومن بين الصعوبات التي واجهتنا أثناء بحثنا :

-قلة المادة العلمية التي تناولت موضوع المجاعات والأوبئة في تلمسان فهي محدودة جدا، سوى بعض الإشارات الطفيفة التي ذكرتها بعض المصادر.

-أنه خلال دراستنا لم نجد ما يذكر عن المجاعات والأوبئة في تلمسان أثناء عصرها الذهبي، لذا فقد حصرناها مع فترة الضعف مع الأحداث التي عاشتها الدولة وهذا مهن الحصار الطويل 698هـ، وما نتج عنه من مجاعة.

-كما أننا لم نصل إلى إحصائيات ثابتة عن ما خلفته هذه لمجاعات من موتى غير الذي أعطته لنا المصادر بصورة تقريبية.

-إضافة إلى النتائج فلم نتكلم عنها الكتب بشكل واضح غير ما استخلصناه.

الفصل التمهيدي: المجاعات والأوبئة: مفاهيم  
ومصطلحات (633-962 هـ/1236-1554 م)

أولاً: مفهوم المجاعات والأوبئة.

ثانياً: مفهوم الجغرافي للمغرب الأوسط وتلمسان.

ثالثاً: الإطار الزمني لتلمسان.

## الفصل التمهيدي: المجاعات والأوبئة: (مفاهيم ومصطلحات)

### أولاً: مفهوم المجاعات والأوبئة

#### 1 - المجاعة لغة :

من الفعل جَاعَ ، يَجُوعُ ، و الجُوعُ ضِدُّ الشَّبَعِ ، و بِالْفَتْحِ : المِصْدَرُ ، جَاعَ جَوْعًا وَ مَجَاعَةً ، فَهُوَ جَائِعٌ وَ جَوْعَانٌ ، وَ هِيَ جَائِعَةٌ وَ جَوْعَى مِنْ جِيَاعٍ وَ جُوعٍ . وَ المِستَجِيعُ هُوَ مَنْ لا تراه أبداً إلاّ وَ هُوَ جَائِعٌ ، وَ جَائِعَةُ الوِشَاحِ ضَامِرَةُ البَطْنِ وَ هِيَ مِثْلُ عَلَى قَدْرِ مُجَاعٍ ، الشَّبَعَانُ أَي عَلَى قَدْرِ مَا يَجُوعُ وَيُطَلَقُ عَلَى مَرِحَلَةٍ فِيهَا الجُوعُ بِعامِ مَجَاعَةٍ وَ مَجُوعَةٍ<sup>1</sup> .

و جاء في ابن منظور الشدة هي المجاعة ، والشدائد هي الهزاهز ، و الشدة تعبر عن صعوبة الزمن وقد إشتد عليهم ، و الشظفة هي شدة العيش<sup>2</sup> ، و يقال للجوع أيضا : الخوبة ، و الخوبة هي الأرض التي لم تمطر بين أرضين ممطورتين ، و الخوبة : هي الجوع<sup>3</sup> عن كراغ . و قال أبو عمرو : " إذا قلت أصابتنا خوبة بالخاء فمعناه المجاعة " ، كما جاء لفظ الشتاء الذي هو فصل من فصول السنة و يتميز بالبرودة الشديدة ، فكان العرب تسمي القحط شتاء لأن المجاعات أكثر ما تصيبهم في الشتاء البارد ، و قال أبو منصور : " الحطيئة ، وجعل الشتاء قحطا " ، و المشتى : الذي أصابته المجاعة ، و يقال : " أشتى القوم فهم مشتون ذا أصابتهم مجاعة<sup>4</sup> .

والإنفاض: هو الجائحة و المجاعة فيقال: نَفَضْنَا حَلائِبَنَا نَفْضًا وَاسْتَنْفَضْنَاها إِسْتِنْفَاضًا، وَ نَفَضَ القَوْمُ ، أَي ذَهَبَ زَادُهُمْ<sup>5</sup> .

<sup>1</sup> الفيروز أبادي: القاموس المحيط ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثامنة 1426 هـ - 2005 م ص 711.

<sup>2</sup> ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ج3 ، ص 234 .

<sup>3</sup> نفسه ، ج 1 ، ص 368 ، نفس المصدر : القاموس ، المحيط : ص 82 .

<sup>4</sup> ابن منظور: نفسه ، ج14 ، ص 421.

<sup>5</sup> ابن منظور : المصدر السابق ، ج7 ص 241 .

- و قِيلَ السَّعْبَةُ تَعْنِي الْجُوعُ أَيضاً، ويقال: سَعِبَ الرَّجُلُ يَسْعُبُ سَعْبًا،<sup>1</sup> و أَسْعَبَ الْقَوْمُ أَي جَاعُوا و دَخَلُوا فِي مَجَاعَةٍ.

- فقد ورد في قوله عز وجل: " فَكُ رَقَبَةً <sup>(13)</sup> أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ <sup>(14)</sup>" سورة البلد الآيات 13-14<sup>2</sup>

و جاء في لسان العرب عدّة مصطلحات التي تعني سنّة الجَدْبِ و القَحْطِ فمنها السنّة الشهباء و هي السنّة التي لا يُرى فيها خُضْرَةٌ أو التي ليسَ فيها مَطَرٌ ثم البيضاء ، ثم الحمراء ، و سنّة شهباء كثيرةُ الثلج جَدْبَةٌ و الشهباءُ أمثلةٌ مَن بَيضاء و الحمراءُ أشدُّ من البيضاء و سنّةٌ عَبْرَاءُ لا مَطَرٌ فيها .

- أما الجائحة لغة:

- من الجُوعِ و معناه الإِسْتِصَالُ مِنَ الإِجْتِيَا حِ و جَا حَتْهُمُ السَّنَةُ جَوْحًا و جِيَا حَةً و أَجَا حَتْهُمُ أَي اسْتَصَلَتْ أَمْوَالُهُمْ و هِيَ بَجَوْحُهُمْ جَوْحًا و هي سنّةٌ جَائِحَةٌ : وهي جدبة ، و الجَوْحَةُ و الجَائِحَةُ هي الشِدَّةُ و النَّا زِلَةُ العَظِيمَةُ التي بَ تَحَاتُ المَالِ من سَنَةٍ أو فِتْنَةٍ .

- و الجَائِحَةُ هي المصيبةُ التي تَحِلُّ بِالرَّجُلِ فِي مَالِهِ فَتَجْتَا حُهُ كُلُّهُ ، وَأَصَابَتْهُمُ جَائِحَةٌ أَي سَنَةٌ شَدِيدَةٌ اجْتَا حَتْ أَمْوَالَهُمْ .

- و قال ابن منظور حسب ما رواه أبو منصور فيقول : "تكون الجائحة بالبرد الذي يقع من السماء و إذا عظم حجمه و كثر ضره أو تكون بالبرد المحرق أو الحرّ المفرط"<sup>3</sup> . كما يطلق عليها النائبة وهي ما ينوب الإنسان و ما ينزل به من الملمات و الحوادث<sup>4</sup> .

<sup>1</sup> مزدور سمية ، المجاعات و الأوبئة في المغرب الأوسط (588-927 هـ / 1192-1520 م) ، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الوسيط ، 2008 ، ص 16 .

<sup>2</sup> ابن منظور: المصدر نفسه ، ج 1 ، ص ص 508-510 .

<sup>3</sup> ابن منظور: المصدر السابق ، ج 2 ، ص 431 ، الفيروز الأبادي: المصدر السابق ، ص 216 .

<sup>4</sup> سمية مزدور : المرجع السابق ، ص 17 .

## 2- الوباء لغة :

وَبَاءٌ وَ الْوَبَاءُ هُوَ الطَّاعُونُ بِالْقَصْرِ وَ الْمَدِّ وَ الْهَمْزِ، وَ يُقَالُ هُوَ كُلُّ مَرَضٍ عَامٍ، وَ فِي الْحَدِيثِ: "إِنَّ هَذَا الْوَبَاءَ رَجُزٌ"، وَ قَدْ وَبِئَتْ الْأَرْضُ تَوْبَةً وَ وَبَاءً، وَ وَبِئَتْ وَبَاءً وَ وَبَاءَةً وَ إِبَاءَةً عَلَى الْبَدَلِ .  
وَأَرْضٌ وَ بِيئَةٌ عَلَى فِعْلَةٍ وَ مَوْبِئَةٌ كَثِيرَةُ الْوَبَاءِ .<sup>1</sup>

وَيُقَالُ الْقَرْفُ هُوَ الْوَبَاءُ، وَ فِي حَدِيثٍ أَنَّ قَوْمًا شَكُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَبَاءَ أَرْضَهُمْ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: "تَحَوَّلُوا فَإِنَّ مِنَ الْقَرْفِ التَّلْفُ" : وَ يُقَالُ اقْتَرَفَ فُلَانٌ مِنْ مَرَضٍ آلَ فُلَانٍ، وَ قَدْ اقْتَرَفُوهُ اقْتِرَافًا وَ هُوَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ وَ هُمْ مَرَضَى فَيَصِيبُهُ ذَلِكَ .<sup>2</sup>

### - أمّا تعريفه اصطلاحاً:

- فقد قال ابن سينا : الوباء هو فساد جوهر الهواء الذي هو مادة الروح و مدده ، و لذلك لا يمكن حياة الإنسان بل جميع الحيوان .<sup>3</sup>

و لا يختلف معه ابن خلدون في قوله أن الوباء سببه فساد الهواء الذي ينتج عن كثرة العمران و ما يخالطه من العفن و الرطوبات الفاسدة فإن قوي فساد الهواء وقع الوباء و يخص الطاعون الذي يصيب الرئة ، وإن قلت قوة هذا الفساد فإنها تمرض الأبدان و تهلكها .<sup>4</sup>

وقد وقع مصطلح الأوبئة أيضا على الأمراض الوافدة ، لأنها قادمة على الناس من بعد مع الهواء و ليست من جهة مطعموم ولا مشروب و لا عرض نفساني وشبه ذلك ، أو لكونها أيضا أمراضا عامة تشمل وفدا كبيرا من الناس<sup>5</sup> ، وقد ذكر العسقلاني عن ما عرفه علاء الدين بن النفيس في كتابه

<sup>1</sup> ابن منظور : المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 189 . الفيروز الآبادي: المصدر نفسه ، ص 55 .

<sup>2</sup> نفسه ، ج 9 ، ص 280 .

<sup>3</sup> أحمد بن الحجر العسقلاني : بدل الماعون في فضل الطاعون ، تح: أحمد عصام ، دار العاصمة ، الرياض ، ص 91 .

<sup>4</sup> ابن خلدون : المقدمة ، تح ، عبد الله محمد الدرويش ، ط 1 ، 2004 م ، دار العرب ، دمشق ، ج 1 ، ص 499 .

<sup>5</sup> سمية مزدور : المرجع السابق ، ص 21 .

الموجز في الطب عن الوباء بأنه: ينشأ عن فساد يعرض لجوهر الهواء بأسباب سمانية أو أرضية ، فأما الأرضية فهو : الماء الآسن و الجيف الكثيرة كما يقع في مواضع المعركة إن لم يدفن القتلى ، أو التربة الكثيرة النز ، و الكثيرة التعفن .

و السّمائية : كثيرة الشهب و الرجوم في آخر الصيف و كثرة الجنوب و الصب في الكانونين ، إذا كثرت علامات المطر في الشتاء و لم تمطر <sup>1</sup> .

وقد أطلق الأطباء و العلماء على الطاعون أنه وباء كونه من الأمراض الفتّاكة التي تَهلك جميع الناس ، ومنهم ابن سينا الذي قال : أنّ الطواعين تكثر عند الوباء و في البلاد الوبيئة و من ثمّ أطلق على الطّاعون بالوباء ، وقال أن ليس كلّ وباء طاعون ، و قد أطلق على الطاعون بالوباء لما ينتج عنه من كثرة الموت لأنّ الوباء هو الموت الكثير <sup>2</sup> .

### 3-تعريف الطاعون وأنوعه :

لغة : الطاعونُ على وزنِ فاعولٍ و هو مشتقٌّ من الطّعنِ ، ويُقالُ طُعنَ فهو مَطْعُونٌ و طَعِينٌ: إذا أصابَهُ الطّاعونُ، وكذا إذا أصابَهُ الطّعنُ بالرّمح .

أما صِفتهُ فقد ذكر لنا العسقلاني عن ما وصفه لنا بعض العلماء منهم إبراهيم الحربي فقال: " الوباء هو الطاعون و المرض العام، وهو قرحة يبلى الله بها من يشاء، و جاء في حديث في قوله صلى الله عليه و سلم : " اللَّهُمَّ اجْعَلْ فَنَاءَ أُمَّتِي بِالطّعنِ و الطّاعونِ " فقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله الطعن قد عرفناه فما الطّاعون ؟ فقال: " غدة كغدة البعير تخرج من المرافق و الإبط " <sup>3</sup> .

<sup>1</sup> ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ، ص 95 .

<sup>2</sup> نفسه ، ص 96 .

<sup>3</sup> ابن حجر: المصدر السابق ص ص 87-88.

أما ابن سينا و أبو علي من الأطباء فقد قالوا: أنّ الطاعون مادّة سمّية تحدث وربما قتالا ، و يحدث في المواضع الرخوة و المغابن من البدن و أغلب ما يكون تحت الإبط أو خلف الأذن أو عند الأرنبة .

أمّا ذكر أسبابه : فإن العلماء و الأطباء جعلوا سببه هو فساد الهواء و العفن ، أو بكتيريا تنقلها الفئران و البراغيث، في حين نجد في قوله صلّى الله عليه و سلم أنّه وخز من الجن استنادا إلى قوله: " أنّه وخز أعدائكم من الجنّ ، و في كل شهادة " <sup>1</sup> و في آخر " طعن أعدائكم من الجنّ "

- وقد اختلفت آراء العلماء و المحدثين في الرجوع إلى أسبابه كما ذكر سابقاً إلا أن البعض منهم كابن الوردي <sup>2</sup> الذي ذكر أنّ إنحراف الناس عن العبادة و الإنغماس في الشهوات و التهاوي في العصيان هو سبب غضب الله منهم ، فجعله عقابا من ربّ العزّة و الجلالة .

- ومهما يكن فإن الطاعون له أنواع نوضحها كالآتي :

1- النوع الأول : الطاعون العقدي أو الدّملي أو الدّبلي : و هو الذي يظهر على شكل نتوءات في المغابن و المناطق الرخوة من الجسم .

2- النوع الثاني : الطاعون الرئوي : وهو الذي يصيب الرئة و قد أشار له ابن خلدون في قوله: "إذا كان فساد الهواء قويا فإنه يصيب الرئة و هي الطواعين و هو الأشد فتكا و يقال له الطاعون الأسود .

3- النوع الثالث : الطاعون الإنتمائي أو الطاعون الدموي <sup>3</sup> .

4- النوع الرابع : فهو الذي يقع في عضو ما فيتأكل منه كالجدام <sup>4</sup> .

<sup>1</sup> نفسه ص 102.

<sup>2</sup> رائد عبد الرحيم : رسالة النبأ عن الوباء لزين الدين بن الوردي ، دراسة نقدية ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث ، فلسطين ، ص 6 .

<sup>3</sup> سمية مزدور: المرجع السابق ص ص 22، 23

<sup>4</sup> ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق، ص 93 .

إضافة إلى الطاعون الذي صنّف من الأمراض و الأوبئة القاتلة فإنه توجد أخرى تصنف في النوع الثاني كالجدام و الذي سمّاه الأطباء بالعلّة الكبرى ، و لا يقل مرض الجدام أكثر خطورة و أيضا مرض الجذري المعدي.

### ثانيا: المفهوم الجغرافي لبلاد المغرب وتلمسان:

يحدد لنا ابن عذارى المراكشي بلاد المغرب فقال: "إن حد المغرب هو من ضفة النيل بالإسكندرية التي تلي بلاد المغرب، إلى آخر بلاد المغرب، وحده مدينة سلا".

وينقسم أقساما: فقسم من الإسكندرية إلى طرابلس وهو أكبرها وأقلها عمارة وقسم من طرابلس وهي بلاد الجريد ويقال أيضا بلاد الزاب الأعلى، ويلى هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل وحدها إلى مدينة تيهرت، ويليهها بلاد المغرب وهي بلاد طنجة وحدها مدينة سلا وهي آخر المغرب وإذا جرت سلا وأخذت إلى ناحية الجنوب تركت مغرب الشمس يمنة، وأخذت منها قافلا إلى القبلة فنسمى تلك البلاد بلاد تامسنا أو بلاد السوس الأدنى والتي حدها جبال درن، وإذا ذهبنا يمينا وجدنا بلاد السوس الأقصى ويقال له بلاد ماسة ويتصل السوس الأقصى ببلاد الصحراء إلى بلاد السودان<sup>1</sup>.

### 1- المحيط الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط:

فقد اختلفت آراء وأقوال المؤرخين في رسم حدود المغرب الأوسط فمثلا يذكر الدكتور لخضر عبدلي أن المغرب عبارة عن جزيرة جبلية شاسعة تمتد من الشرق إلى الغرب في شكل شبه مربع، يحيط بها البحر الأبيض المتوسط من الشمال، والمحيط الأطلسي من الغرب تحترقها سلسلة جبال الأطلس سمي المغرب ببلاد إفريقية في عهد البيزنطيين وشمل كل ما يلي برقه شرقا إلى طنجة غربا، أما أثناء الفتح الإسلامي فسمى العرب الأقاليم المفتوحة بأسمائها المعروفة في التنظيم البيزنطي ثم أخذ لفظ افريقية يضيق وبدأ لفظ المغرب في الظهور أما ابتداء من القرن الخامس للهجري فقد قسم المغرب

<sup>1</sup> - ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، تح: ج.س. كولان، ط1، دار الثقافة، لبنان، بيروت، 1982، ص13.

العربي إلى ثلاثة أقسام كبيرة بحسب قربها أو بعدها في الخلافة الإسلامية في المشرق فأطلقوا اسم المغرب الأوسط على المنطقة الممتدة من بجاية شرقا إلى وادي ملوية غربا. ثم يليه المغرب الأقصى.

أما المغرب الأوسط<sup>1</sup> فقد انقسم إلى قسمين متميزين، القسم الأول شمالي حيث البهر والأنهار والتلول والجبال وأما التالي فهو جنوبي حيث الصحراء الواسعة برمائها وبواديها ونخيلها فهو ديار زناته<sup>2</sup> كما يقول ابن خلدون<sup>3</sup>.

أما حسين مؤنس فإنه قسم المغرب الأوسط تاريخيا إلى قسمين حيث يقول: "قسم شرقي يسمى إقليم تاهرت ويتميز بالجبال والغابات، والثاني غربي يسمى إقليم تلمسان ويتميز بالمراعي والسهول، ويشتهر المغرب الأوسط بمناطقه العمرانية ذات الشخصية التاريخية المتميزة إقليم القبائل شرقي المدينة الجزائر الحالية وسهل متيجة جنوبي الجزائر وإقليم السيق السهلي الساحلي جنوبي وهران وإقليم البابور والبيبان والجرجرة والونشريس وكلها أقاليم جبلية وعرة وإقليم الحضنة وهو إقليم جريد أي غابات نخيل يتوسطه شط الجريد. وإقليم الهقار أو الهجار في الجنوب وهو إقليم صحراوي.

أما إقليم تلمسان فيتميز بجباله وسهوله ومراعيه الواسعة، وقد كانت تلمسان دائما مركزا حضاريا، وقاعدة علمية، وقد قامت تلمسان العربية على أصل حصن روماني قديم يسمى بوماريا"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - المغرب الأوسط، كان العرب قديما يسمونه بالأوسط نظرا لتوسطه بلاد المغرب وكانت عاصمته مدينة تيهرت في عهد الدولة الرستمية، ثم مدينة أشير في عهد الدولة الزييرية، ثم مدينة تلمسان أيام دولة بني عبد الواد، وأخيرا جزائر بني مزغنة حاليا، ينظر إلى لخضر عبدلي، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ص26.

<sup>2</sup> - زناته: من جانا بن يحيى بن صولات بن ورساك بن ضرى بن مقبوين يملا بن ماغيس بن أزجيك بن همحق بن كراد بن مازيغ بن هريك بن برين بربر بن كنعان بن حام وفيه روايات أخرى، ينظر الى نفسه.

<sup>3</sup> - ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، لبنان، ج7، سنة 2000، ص99.

<sup>4</sup> - حسين مؤنس: معالم في تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، د ط، د ج، د س، ص22.

ويذكر ابن خلدون: "أن مدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط وأم بلاد زناته واخطتها بنو يفرن بما كانت في مواطنهم"<sup>1</sup>.

وفسر لنا يحيى بن خلدون معنى تلمسان فيقول: "أنه دار ملك زناته وسط بين الصحراء والتل" وتسمى بلغة البربر تلمسان، وهي كلمة مركبة من "تلم" ومعناها: تجمع، "وتسن" معناها: اثنان أي الصحراء والتل وهي في سفح جبل بني ورنيد المار جنوبها ويسمى قبالها بالصخرتين، ينحدر منه نهر صطيفسيف المار شرقها، إلى أن يلتقي بنهر سير ثم نهر تافنا، وتنحدر منه أيضا ساقية النصراني وتلمسان مدينتان إحداهما قديمة تعرف بأجادير أسسها بنو يفرن قبل الإسلام والثانية تعرف بتاجرات بناها ملك لمتونة يوسف بن تاشفين في حدود إثنين وستين وأربعمئة بمكان محله ولذلك سميت بتاجرات، فإنه إسم المحلة بلسان زناته"<sup>2</sup>.

يقول ابن خلدون عن المغرب الأوسط: "كان لمغراوة<sup>3</sup> وبني يفرن<sup>4</sup> وهم مديونه ومغيلة ومطماطة<sup>5</sup> وكومية<sup>6</sup> ومطغرة<sup>7</sup>،

<sup>1</sup> - ابن خلدون: المصدر السابق، ص102

<sup>2</sup> - أبي زكرياء يحيى ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تق، وتح، وتع: عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، ج1، سنة 2007، ص91.

<sup>3</sup> - مغراوة: هم بنو يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الدبرت بن جانا إخوة بني يفرن وبني يزيان، وكانت مجالتهم بأرض المغرب الأوسط من الشلف إلى تلمسان إلى جبل مديونة وما يليها، وكان لهم مع إخوانهم من بني يفرن إجتماعا وإفتراق، وكان لمغراوة ملك كبير أدركه عليه الإسلام، ينظر لخضر بوعبدلي: المرجع السابق، ص27.

<sup>4</sup> - بني يفرن: هم إخوة مغراوة وبنو واسين والكل من بنو يصلتين، ينظر إلى: نفسه.

<sup>5</sup> - مطماطة: هم إخوة من فاتن وكانت مواطنهم من نواحي تلمسان، ما بين جبل راشد وقبيلة وجدة، ينظر إلى: نفسه.

<sup>6</sup> - كومية: كانوا قديما صطفورة أو صفورة وهم ثلاثة بطون هم مدرومة وصغارة، وكانت مواطنهم الأصلية جبال تارة الواقعة على سيف البحر غربي تلمسان وهم قبيل عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، ينظر إلى: نفسه.

<sup>7</sup> - مطغرة: أو مدغرة كانت موطنها يجادي الجنوب الغربي لكومية وهي قبيلة عمرت المنطقة الممتدة من توات إلى سلجماسة، وإلى وإلى الشمال من سهول أنجاد وما يقع أمامها، ينظر إلى: نفسه.

ثم صار من بعدهم لبني ومانوا وبني يلومي<sup>1</sup> ثم لبني توجين وبني عبد الواد ومن بني بادين وقاعدته تلمسان وهي دار ملكهم<sup>2</sup>.

## 2- حدود مملكة تلمسان:

يحد مملكة تلمسان واد "زا" شرقا، وهر ملوية غربا، والواد الكبير وصحراء نوميديا جنوبا، وكانت هذه في القديم تحمل إسم "قيصرية" وهذا عندما كانت تخضع لسيطرة الرومان، ثم آلت إلى ملوكها الأقدمين، وهم بنو عبد الواد المنتمون إلى مغراوة بعد أن أجلى الرومان عن إفريقيا الذين احتفظوا بالملك ثلاثمئة سنة، إلى أن انتزعه منهم الأمير يغمرانس بن زيان، وقد قال ابن خلدون في هذا الشأن: "أنه كان هؤلاء من الأحياء من زناته بنو عبد الواد، وبنو توجين وبنو راشد غلبوا على ضواحي تلمسان والمغرب الأوسط وملكوها، وتقلبوها في بسائطها واحتازوا بإقطاع الدولة الكثير من أرضها والطيب من بلادها والوافر للجباية من قبائلها، فإذا خرجوا إلى مشاتهم بالصحراء خلقوا أتباعهم وحاشيتهم بالتلول لإعتماد مدتهم، وازدراع أرضهم وجباية الخراج من رعاياهم، وكان بنو عبد الواد من ذلك فيها بين البطحاء وملوية ساحله وريفه وصحراءه"<sup>3</sup>.

أراد الحسن الوزان في وصف إفريقيا أن يحدد مساحة المملكة الزيانية فقال: "إنها تمتد من الشرق إلى الغرب حوالي ثلاثمئة وثمانين ميلا، وتضيق كثيرا من الشمال إلى الجنوب أي بين البحر الأبيض المتوسط والصحراء لتصل في بعض الأحيان إلى خمس وعشرين ميلا والقسم الجنوبي منها واقع في منطقة جافة أي على أطراف الصحراء، أما القسم الشمالي فيطل على سهول واسعة"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - بني ومانوا وبني يلومي: هم من الطبقة الأولى من زناته، وكانت هاتان القبيلة من أوفقر بطون زناته وأشدهم شوكة، وموطنهم جميعا المغرب الأوسط، كانوا في الجهة الشرقية من وادي منداس وسيرت، بينما كان بني يلومي بالعدوة الغربية من جهة البطحاء، ينظر إلى: لخضر عبدلي: المرجع السابق، ص 27.

<sup>2</sup> - ابن خلدون: المصدر السابق، ج 7، ص 104.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 104.

<sup>4</sup> - الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط 2، ج 1، سنة 1983، ص 339.

أما الباحث فيرى أن حدود هذه المملكة كانت من الناحية الشمالية البحر الأبيض المتوسط ومن الناحية الجنوبية الصحراء عند مدينة سلجماسة، أما من الناحية الشرقية والغربية فلم تكن حدودا ثابتة، وذلك لطبيعة صراعها مع الدولة الحفصية في الشرق والدولة المرينية في الغرب، كما لها مينئان مشهوران: الأول ميناء وهران وميناء المرسى الكبير، و يكون معظم هذه المملكة تلمسان أقاليم جافة قاحلة، لاسيما في جزئها الجنوبي لكن جزئها الجنوبي لكن القريبة من الساحل منتجة جدا نظرا لخصبتها والجهة المجاورة لتلمسان كلها سهل مع بعض المفايزات كما توجد غربا عدة جبال قرب الشاطئ وكذلك في إقليم تنس وفوق بلاد الجزائر عدد لا يحصى من الجبال غير أنها كلها منتجة<sup>1</sup>.

كما يضيف الوزان أنه لا يوجد بهذه المملكة إلا القليل من المدن والقصور، غير أن الأماكن زاخرة والبقعة خصبة، كما يبينه لكل منها على الخصوص.

**صحراء أنكاد:** يقول الوزان في هذا الصدد: "تبتدئ مملكة تلمسان غربا في سهل قفر وعر يابس لا ماء فيه ولا شجر، وتمتد على مسافة نحو ثمانين ميلا طولا وما يقرب من خمسين ميلا عرضا، يعيش فيها عدد كثير من الغزلان والوعول والنعام، وهي مأوى لعصابة لصوص من الأعراب على استعداد دائم للفتك بالمارين من هناك حيث الطريق المؤدية من فاس إلى تلمسان وقلما ينجوا التجار من شرهم لاسيما في فصل الشتاء<sup>2</sup>.

**قصر تميزدكت:** هو قصر واقع في الحد بين هذا القفر وبلاد تلمسان، شيد قديما على صخرة، وكان ملوك تلمسان يجعلونه في حالة تأهب دفاعي لحراسة أماكن المرور الجنود ملك فاس.

<sup>1</sup> - فوزي مصمودي: تلمسان بعيون عربية، وزارة الثقافة، ط1، سنة 2011، ص77.

<sup>2</sup> - الحسن الوزان: المصدر نفسه، ص339.

يضيف الوزان أنه: لم تكن هناك في عصر المؤلف حدود محدودة بين المملكات والأقاليم، وإنما هو تخمين ولاسيما بين المملكات التي تختلف دولها كما هو الحال بين مملكات فاس وبجاية وتلمسان وتونس، فهناك وراء ملوية شرقا مدن وقرى وصحاري مغربية مثل وجدة وايسلي وأنكاد وفكيك وبني يزناسن وإلخ، ينظر إلى نفسه.

ويسيل في سفحه نهر التافنة وتحيط به أراضي جيدة كانت تزرع فيها حاجيات السكان ومادام هذا القصر خاضعا لحكم ملك فاس فإنه كان يخضع لصيانة تامة<sup>1</sup>.

**قصر ايشلي:** وهو قصر قديم شيده الأفارقة في سهل يحاذي القفر السابق وتحيط به بعض الأراضي التي يزرع فيها الشعير والدخن وكان في القديم كثيرا محاطا بأسوار متينة دمرت أثناء الحروب.

**مدينة وجدة:** وجدة مدينة قديمة بناها الأفارقة في سهل فسيح جدا على بعد نحو أربعين ميلا جنوب البحر المتوسط، وعلى نفس البعد تقريبا من تلمسان محاذية غربا مفازة أنكاد وأراضيها الزراعية كلها غزيرة الإنتاج، تحيط بها عدة حدائق غرست فيها على الخصوص الكروم وأشجارها التين، ويخترقها جدول يشرب السكان من مائة ويستعملونه لأغراض أخرى وكانت أسوارها في القديم متينة عالية جدا ودورها ودكاينها متقنة البناء، وسكانها أثرياء ومتحضرين وشجعانا لكنها نُهبت ودمرت أثناء الحروب المتوالية بين ملوك فاس وملوك تلمسان، حيث كانت منحازة لهؤلاء وبعد أن وضعت الحرب أوزارها أخذت وجدة تعمر بالسكان وشيدت فيها من جديد دور كثيرة<sup>2</sup>.

**مدينة ندرومة:** يقول الوزان أن هذه المدينة أسستها الرومان قديما عندما كانوا يحكمون المنطقة وبنوها على بقعة واسعة في سهل بعيدة بنحو ميلين في الجبل واثني عشر ميلا من البحر المتوسط. ويمر قربها نهر قليل الأهمية، كما يقول إن الرومان اختاروا لها نفس الموقع ونفس التصميم لمدينة روما. وإن اسمها مشتق من كلمة "ند"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>-الوزان: المصدر السابق ص 400.

<sup>2</sup>- وجدة: أسسها زيري بن عطية المغراوي عام 384هـ، ونقل كرسي إمارته من فاس إليها، ينظر إلى الوزان: نفسه.

<sup>3</sup>- لم يعثر على أي أثر روماني بندرومة، ولا يذكر موقعها أي تذكير بروما، بل الاسم الذي تحمله هو اسم قبيلة كومية قاطنة في هذه الناحية، فقد استعمل المؤلف هنا لغة الأفارقة قاصدا بها اللغة العربية، ينظر إلى: الوزان: المصدر السابق، ص 404.

مدينة تبهرت: وهي مدينة صغيرة بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط في رأس صخرة بعيدة بنحو اثني عشر ميلا عن ندرومة، وبقرها جبال وعرة لكنها كثيرة السكان<sup>1</sup>.

مدينة هنين: مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة، وهي أنيقة صينة للغاية لها ميناء صغير محروس ببرجين، كل واحد منهما في جهة وتحيط بها أسوار عالية متينة لاسيما من جهة البحر، وتأتي إلى هذا الميناء سنويا سفن شرعية، من البندقية تحقق أرباحا مع تجار تلمسان إذ لا يفصل بين هذه المدينة وهنين سوي أربعة عشر ميلا.

أرشكول: هذه المدينة قام ببناءها الأفارقة على صخرة يحيط بها البحر من كل جانب ما عدا الجنوب حيث يوجد طريق ينزل من الصخر إلى اليابسة، وهي واقعة على بعد نحو أربعة عشر ميلا<sup>2</sup>.

## 2الموقع الجغرافي لمدينة تلمسان:

حددت المصادر التاريخية موقع مدينة تلمسان فيقول عبد العزيز الفيلاي أنها تقع على ارتفاع 830م عن سطح البحر، وتحيط بها الجبال والهضاب الصخرية من الجهة الجنوبية. تحدها من الشمال الغربي مرتفع ترارة وجبل قلاونس، أما من الشمال الشرقي فتوجد مرتفعات السبعة شيوخ وتاسلة<sup>3</sup>.

أما الجغرافيون والمؤرخون المسلمون فحددوا موقعها على أنه في الإقليم الثالث<sup>4</sup> عند درجة طول أربع عشرة درجة وأربعين دقيقة، ودرجة عرض ثلاث وثلاثين درجة واثني عشرة دقيقة، أما

<sup>1</sup> - اضمحلت تبهرت لكن بقي اسمها على بعد نحو 3 كيلومتر شمال غرب ندرومة، ومن المحتمل أن المدينة كانت مشيدة على رأس قلعة تشرف على البحر بارتفاع 125 متر، ينظر إلى، الوزان: نفسه، ص404.

<sup>2</sup> - كانت أرشكول في القرن الثالث هجري أهم مدن الساحل بين نكور و وتنس، في حين لم تكن وهران قد رأيت النور بعد، وكانت واقعة في إحدى منحرجات وادي تافنة، ربما أنقاض أسبكة المعروفة اليوم باسم تكميرت، ينظر إلى الوزان: نفسه.

<sup>3</sup> - عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، دار موفم للنشر، ج1، الجزائر، 2011، ص43.

<sup>4</sup> - الإقليم الثالث: وهو متصل بالثاني من جهة الشمال ففي الجزء الأول منه وعلى نحو الثلث من أعلاه جبل درن معترض فيه من غربيه عند البحر المحيط إلى الشرق عند آخره، ويسكن هذا الجبل من البربر أمم، وهذا الجبل مظل على هذه البلاد كلها في الجزء، وهو قليل الثنايا والمسالك في هذه الناحية الغربية إلى أن يسامت وادي ملوية فتكثر ثناياها ومسالكه وفي هذه الناحية أمم من المصامدة، وفي آخر هذا الجزء منه بعض زناته ينظر إلى ابن خلدون، المقدمة ج1، ص160، المزيد من المعلومات عن الإقليم الثالث ينظر إلى الاصطخري: المسالك والممالك، ص20.

الجغرافيون المحدثون فحددوا موقعها عند خط طول درجة واحدة وثلاثين دقيقة غرب غرينتش<sup>1</sup> وخط عرض أربع وثلاثين درجة وثلاث خمسين دقيقة شمال خط الإستواء.

كما تقع على السفح الشمالي لجبل الصخرتين وهذا الجبل هو الطرف الشرقي لسلسلة جبال الريف التي تسير بموازاة السهل الساحلي من المغرب الأقصى حتى تصل إلى منطقة ضيقة قرب تلمسان حيث اعتبرت هذه المنطقة الحد الفاصل بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى<sup>2</sup>.

كما تشرف هذه المدينة من الناحية الشمالية على سهول خصبة. تعرف بسهول " المنايا " الممتدة نحو الغرب حيث تتصل بسهول لالة مغنية. ولا تبعد عن البحر إلا بسبعة فراسخ كما كانت هذه الجبال والهضاب التي تكسوها غابة من شجر الصنوبر بمثابة حصون قوية تحميها من الغزاة والمدينة في حد ذاتها تقع في الشمال الغربي للمغرب الأوسط تحت سفوح الجبال في مكان مائل نحو الغرب.

. ترتفع تلمسان عن سطح البحر حوالي 2600 قدم، أي ما يقارب 900 مترا. ويمكن من ذلك الارتفاع مشاهدة البحر الذي يبعد عن المدينة أربعين ميلا باتجاه الشمال<sup>3</sup>.

### ثالثا: الإطار الزمني للدولة: ( 633هـ .1236م ) ( 962هـ . 1554م )

تعتبر دولة بني عبد الواد من أهم الدول التي نشأت في الجزائر بمدينة تلمسان حاليا والتي دامت ثلاثة قرون من الزمن عرفت فيها صراعا دائما وتطورا لشتى مجالات الحياة فيها، ولاشك أن ظهور دول هو نهاية لدول أخرى، وتعتبر معركة العقاب سنة ( 609هـ . 1212م ) التي انهزم فيها الموحدون وضعفت شوكتهم هي بداية لظهور تشكل قوة أخرى تمثلت في إحدى قبائل " زناتة " وهم بنو عبد الواد مستغلين هذه الأحداث ليرزوا وجودهم على إنقاذ الموحدون في المغرب الأوسط بين البطحاء

<sup>1</sup> - غرينتش: مدينة في إنجلترا، اتخذها الجغرافيون أساسا في تقسيم خطوط الطول، ينظر إلى بسام كامل، المرجع السابق، ص 23.

<sup>2</sup> - فيلالي: المرجع السابق، ص 43.

<sup>3</sup> - بسام كامل عبد الرزاق : تلمسان في العهد الزياني 633-962هـ ، رسالة ماجستير في التاريخ بكلية العليا ، فلسطين ،

2002م ، ص 23.

شرقاً ونهر ملوية غرباً، بضواحي تلمسان<sup>1</sup>، هذا عند تعيين المأمون الموحد " جابر ابن يوسف " هذه النواحي مبايعته سنة 627هـ، ولقد بدأ عمله بتوطيد أركان هذه الأخيرة ومحاولة التوسع أكثر في رقعتها، وقد أخضع أغلب بطون بني عبد الواد إلا أهل ندرومة وفي ظل هذه الأحداث توفي جابر بن يوسف وخلفه ابنه.

ويعتبر يغمراسن بن زيان هو المؤسس الحقيقي للإمارة الزيانية حيث بدأ حكمه بالولاء والخطبة على المناير للموحدين ، كما استطاع أن يخضع القبائل البربرية والعربية، وإضافة إلى اهتمامه بتوسيع نفوذه وتنظيم جيشه ركز فيه يغمراسن على توطيد دولته<sup>2</sup>.

ويبدو أن يغمراسن ركز جهوده على الدفاع عن حوزة البلاد ومقاتلة القبائل البربرية الخارجة عن الولاء أكثر من التوسع في رقعة البلاد إلا أن هذا لم يمنعه من التوسع وتحسين العلاقات مع الحفصيين وانتهى هذا العهد بوفاته سنة 681هـ واستمر أبي سعيد عثمان يغمراسن على سياسة أبيه حيث بادر إلى عقد الصلح مع بني مرين ليتوجه إلى توسيع نفوذه نحو المناطق الشرقية واستطاع أن يخضع مغراوة وبجاية وبني توجين وسمي هذا العهد بعهد التوسع وخلال هذه المرحلة استطاعت الدولة أن توسع نفوذها على حساب الدولة الحفصية، كما استطاعت في عصر قوتها أن تصل إلى المناطق الغربية<sup>3</sup> أما فترات الضعف تماماً مثل فترات الضعف التي انتابتها خاصة أنها تواجه خطرين من الجهة الشرقية والغربية.

إن أهم ما ميز ضعف الدولة هو الهجمات المتكررة لها من قبل بني مرين تارة وبني حفص تارة أخرى لكن الحصار الطويل الذي دام ثماني سنوات وأشهر هو الذي أضعف كيانها، كان هذا في سنة

<sup>1</sup> عبد الحميد حاجيات التاريخ السياسي و الحضاري لتلمسان والمغرب العربي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ج، الجزائر، 2011، ج، ص 27.

<sup>2</sup> مزدور سمية: المرجع السابق، ص 34.

<sup>3</sup> تمكن بنو عبد الواد عدة مرات من احتلال المناطق الشرقية من المغرب الأوسط التي كانت بيد الحفصيين اما فاس عاصمة المرينيين فقد تمكن بنو عبد الواد من احتلالها في العهد الخليفة عبد الملك عبد الواحد ابن ابي حمو الثاني الذي تولى الحكم سنة 814هـ/ 1411م فاحتلتها ونصب عليها حاكماً من قبلها ، ينظر الى: حاجيات: المرجع السابق، ص 39.

689هـ والذي سبب مجاعات و أوبئة أثرت على السكان وجغرافية المنطقة وفي اقتصاد البلاد والذي انتهى بموت يوسف بن يعقوب سنة 707هـ وتمكن سلاطينها من إعادة الحياة لهذه الدولة التي كادت أن تنتهي لولا حصانه موقعها وإرادة الخالق، لكن ضعف ملوك بني زيان تزايد في عهد " محمد الثابتي " وأخذت المدن بالاستقلال عن السلطة المركزية في ظل هذه الظروف بدأ الخطر الأجنبي الذي تمثل في الهجوم الاسبان على غرناطة والبرتغال على المرسى الكبير ووهران في سنة 906هـ/ 1501م<sup>1</sup>.

ومع هذه الأوضاع التي اشتدت في عهد محمد الخامس حيث استولى الاسبان على وهران سنة 914هـ/ 1510م، أما الأتراك فقد دخلوا الجزائر سنة 920هـ/ 1514م للقضاء على الاسبان في بجاية حيث أصبحوا قوة في المغرب الأوسط، وكان من مظاهر هذه الفترة التمرد ضد الحكام من طرف الرعية حيث أن أبو حمو الثالث تعرض لهذه الظاهرة إذ أن أهل تلمسان استقدموا "بابا عروج" على الحكم سنة 923هـ/ 1517م وهنا تمكن الأتراك من السيطرة على تلمسان حيث أنهم دخلوا في صراع مع الاسبان أودي الانهيار للدولة لأن مظاهر الحياة لدى الحكام العثمانيين عليها الترف واللهو والانغماس في ملذات الحياة فأصبح الصراع على السلطة وقتل الحكام على يد أقربائهم وذويهم، مما أضعف السلطة وزاد من قوة الخطر الأجنبي، في سنة 962هـ/ 1554م ثم الإعلان عن توحيد تراب الدولة الجزائرية وانقراض دولة بني زيان<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> سمية مزدور: المرجع السابق ، ص 85.

<sup>2</sup> عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق ، ص 91.

## الفصل الأول: الأوضاع السياسية والإجتماعية والإقتصادية لتلمسان

أولاً: الأوضاع السياسية

ثانياً: الأوضاع الإجتماعية

ثالثاً: الأوضاع الإقتصادية

## أولاً: الأوضاع السياسية

## 1 نسب الزيانيين و التعريف بهم:

اختلف المؤرخون في تحديد النسب الزياني فيقول ابن خلدون " أن هذه الطبقة الثانية من زناتة ذكر بني عبد الواد أنهم من ولد يادين بن محمد إخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد وأن نسبهم يرتفع إلى رزحيك بن ورسيك بن جانا، وكان إخوانهم بمصاب وجبل راشد، و فيكيك ، وملوية ولم يزل بنو عبد الواد هؤلاء بمواطنهم تلك وبنو راشد، بنو زدال ومصاب منجدين إليهم بالنسب والحلف، وبنو توجين منابدين لهم، ولم يزلوا جميعا متغلبين على ضاحية المغرب الأوسط عامة الأزمان ، وكانوا تبعا فيه بني ومانوا وبني يلومي حين كان لهم التغلب فيهم، وربما يقال كان شيخهم لذلك العهد يعرف بيوسف بن تكفا حتى إذا نزل عبد المؤمن والموحدون نواحي تلمسان وقد قال يغمراسن بن زيان أبو ملوكهم لهذا العهد لما رفع نسبه إلى إدريس: " كما فإنما نلناها بسيوفنا"، ولم تزل رئاسة بني عبد الواد في بني القاسم، لشدة شوكتهم واعتزاز عصيتهم، وكانوا بطونا كثيرة فمنهم بنو بكمثين بن القاسم وكان منهم ويغرن ابن مسعود بن يكتيمن وأخواه يكمثين وعمر وكان أيضا منهم أغدوي بن يكمثين الأكبر ويقال الأصغر ومنهم أيضا عبد الحق<sup>1</sup>.

أما المبارك المليبي فقد قال: "ان الدولة الزيانية تنسب إلى زيان بن ثابت بن محمد بن بني طاع الله لأن ملوكها من عقبة وبنو طاع الله من بطون بني القاسم من بني عبد الواد، وزعموا أن القاسم هذا هو ابن إدريس وفي بني محمد ابن سليمان الذين كانوا بتلمسان القاسم بن محمد أيضا"<sup>2</sup>.

. في حين نجد أن يحيى ابن خلدون ذكر " أنهم فخذان أحدهم بنو عبد الواد، وبهذا الاسم عرف الجميع تغلبيا وأصله عابد الوادي ، رهبانية عرف بها جددهم من ولد سحيج ابن واسين ابن يصليتين بن مسرى

<sup>1</sup> ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 97.

<sup>2</sup> مبارك المليبي: تاريخ الجزائر القديم والحديث تق، تص: محمد المليبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، د، ط، د، س، د، ب، ج2، ص 452.

بن زكيا بن ورسيع بن مادغيس، الأبر بن برين قيس عيلان بن مضرين نزار بن معد بن عدنان وفي سجيح هذا يجتمع نسبهم ونسب فرعاتهم بني مرين<sup>1</sup>.

يرى عبد الحميد حاجيات أن قبائل زناتة كانت تقطن قبل هجرة بني هلال سهوب إفريقيا، وعند قدوم العرب الهلاليون إلى جنوب إفريقيا في أواسط القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد، تصدى لهم بنو زيري، و بنو حماد، وأحلافهم من زناتة الشرقية والغربية.

. فانتصر عليهم الهلاليون في معارك عدة، لذا فإن قبائل زناتة اضطرت إلى الهجرة نحو المغرب الأوسط حوالي نصف قرن التي صارت تضايق قبائل زناتة سلطة بني يلومي الذين كانوا مسيطرين على الجهة الغربية من " واد مينا" .

وعندما اشتد الصراع بين الموحدين والمرابطين انتقل الأمير " تاشفين بن علي" من تلمسان إلى وهران، تبعه عبد المؤمن بن علي إليها الذي أرسل جيشا إلى منطقة ومانو<sup>2</sup>. وبعد هذا أخلص بنو عبد الواد وبنو توجين للموحدين على عكس بنو يلومي وبنو مرين ضدهم، وبعد حروب بني يلومي وبني توجين، أصبح الموحدون يعتمدون على بني عبد الواد بفضل قوتهم وكانت معركة العقاب سنة 609هـ / 1211 فرصة لسيطرة بني عبد الواد على مناطق في تلمسان، وفي سنة 627هـ / 1230 عين الخليفة المأمون الموحدي " جابر بن يوسف" حاكما شرعيا على إقليم تلمسان وإقليم بني راشد. ومن هذا التاريخ سيطر بني عبد الواد على تلمسان، وكان هذا بداية المرحلة الأولى من تأسيس الدولة العبد الوادية<sup>3</sup>.

كما ذكرنا فإن تاريخ هذه الدولة مشحون بالصراعات كانت عبر مراحل في حياة هذه الدولة يمكن أن نلخصها كالآتي:

<sup>1</sup> يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 186.

<sup>2</sup> عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ج1، ص ص 25 26.

<sup>3</sup> خالد بالعربي: تلمسان من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الزيانية، دار الأملعة لنشر والتوزيع، ط1، د، ب، د، س، ص ص 204-205.

— دور النشأة والتبعية للحفصيين: ويبدأ هذا الدور عند تولي يغمراسن<sup>1</sup> بن زيان أمور الدولة سنة (1236م/633هـ) الذي بدأ حياته السياسية بالارتباط بالخلافة الموحدية بمراكش<sup>2</sup> ثم انفصل عنها أيام الرشيد عبد الواحد بن إدريس والذي حاول أن يبقى يغمراسن تابعا لدولته للحفاظ على بقاء الخطبة للموحدين، وكانت الدولة الحفصية أول الأخطار التي واجهته في بداية حكمه والتي كانت سلطانها أبو زكرياء يطمح إلى إعادة توحيد المغرب تحت حكمه مما جعله يتقدم سنة 640هـ/1242م إلى تلمسان لإخضاع سلطانها يغمراسن ولكنه فشل<sup>3</sup> فتحاول التقرب منه لتوطيد الصلة حتى يساعده ضد المرينيين الثائرين عليه وقبل يغمراسن بهذا.

وعندما حاول الموحدون مواجهة هذا الوضع فشلوا في معركة تامزردكت قرب وجدة عام 1247م ومن هذه الحادثة اشتد الخلاف بن بني مرين وبني زيان<sup>4</sup>، وقد ذكر ابن خلدون في هذا الصدد قائلاً: "كانت الدعوة الحفصية بإفريقية قد انقسمت بين أعياصهم في تونس وبجاية وأعمالها وكان التخيم بينهما بلد عجيسه و، وشتاتة و كان الخليفة بتونس الأمير أبو حفص زكرياء الأول منهم"<sup>5</sup>.

أما في ما يتعلق بالدولة المرينية، فإنه لم يتمكن الاعتماد عليها لعدم تكافؤ، القوة بين الطرفين وانعدام الوحدة بالمغرب الأوسط لكثرة القبائل وقبل وفاته أوصى بتوجيه إمكانياتهم نحو الشرق والعدول وبهذا ينتهي الدور الأول من عمر هذه الدولة<sup>6</sup>.

<sup>3</sup> يغمراسن بن زيان مولده سنة ثلاث او خمس وستمئة ببيع يوم الأحد الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وستمئة وتوفي سنة احدى وثمانون ، ينظر الى يحيى ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص 204 - 207.

<sup>4</sup> محمد بن عبد الله التنسي : تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدور و العقيان وشرف بني زيان ، تح ، و تع : محمد بوعباد ، المؤسسة الوطنية للكتاب والمكتبة الوطنية الجزائرية ، 1985 ، 125.

<sup>3</sup> فيما يتعلق بمحموم ابي زكرياء الحفصي سنة 640هـ/1242م ينظر الى ابن خلدون : المصدر السابق، ج 7 ، ص 165.

<sup>4</sup> يحيى بوعزيز: موجز تاريخ الجزائر، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1965 ، ص 63.

<sup>5</sup> ابن خلدون: المصدر السابق ، ج 7 ، ص 164.

<sup>6</sup> مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية الاحوال السياسية ، دار الحضارة لطبع والنشر والتوزيع ، الجزائر 2007 ، ص 19.

ـ دور التدخل المريني في الدولة :

. يتمثل في إحياء دولة بني عبد الواد من جديد بعد اندثارها، عند مبايعة أبا سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يغمراسن وتصالحوا مع المغراويين وبني توجين.

واقترحوا تلمسان سنة 1348م ،عندما سلم لهم عامل المرينيين أبو فرار، وعين أبو سعيد أخاه أبا ثابت<sup>1</sup> على الشؤون العسكرية، وأعاد سيطرة بني عبد الواد على ندرومة ووهران ، ومامازونة ، وتنس، ومدية، وعاصمة المغراويين مليانة وبرشك وشرشال، والجزائر ودلس مع قيام بعض الثورات ضد قبائل المغراويين وقد تمكن أبو ثابت أن يلحق الهزيمة بالسلطان المريني أبي الحسن في مدينة الجزائر بينما كان عائدا من تونس على إثر هزيمته السابقة. بعد هذا تولى أبو عنان<sup>2</sup> عرش بني مرين، فقام بمواجهة أبو سعيد الزياني في معركة " بواد القصب " بسهل " أنجاد " في جوان 1352، وتمكن فيها أبو عنان بقتل أبو سعيد واحتلال تلمسان ومعظم جهات المغرب الأوسط، واندثرت الدولة من جديد.

ـ دور التخلص من المرينيين: كان من أبرز ملامحه محاولة طرد السيطرة المرينية وإحياء الدولة من جديد، إذ تمكن أبو حمو موسى الثاني<sup>3</sup> في هذا عام 1359م، إضافة إلى استمرار ثورات القبائل البربرية على الدولة الزيانية وزيادة نفوذ القبائل العربية التي تحصلت منه على إقطاعات كبيرة مكنتها في السيطرة على أجزاء من أراضي التلول ومن أبرزها بنو عامر وسويد، وبنو يزيد، وبنو عريف<sup>4</sup> و بنو حصين<sup>5</sup> ومد<sup>5</sup> ومد سيطرته على حساب الدولة الحفصية فحاول الاستيلاء على بجاية لكنه فشل .

<sup>5</sup> تولى السلطان ابي سعيد واخوه ثابت الحكم سنة 749هـ (1348م الى 755هـ/1352م)، ينظر الى التنسي: المصدر السابق، ص155.

<sup>1</sup> تولى السلطان المريني الحكم سنة (749هـ /1348 م الى 759هـ/1358م) وعينه السلطان ابو الحسن عند تحركه الى افريقية واليا على تلمسان والمغرب الاوسط ، ينظر إلى نفسه، ص160.

<sup>3</sup> تولى او حمو موسى الثاني الحكم من سنة (760هـ-1359م إلى 791هـ-1389م) ، نفسه، ص 760.

<sup>3</sup> ابو عريف من بنو سويد من بني مالك بن زغبة من بني هلال للمزيد ينظر الى ابن خلدون:المصدر السابق، ج6، ص ص 95 ، 105.

<sup>5</sup> قبيلة هلالية موطنهم جبل اشير ، ينظر الى مختار حساني: المرجع السابق ، ج 1 ، ص 15.

. زيادة الخطر المريني في فترة حكم أبو حمو موسى الثاني مما جعله أن تتوجه إلى المناطق الصحراوية فرارا من الجيش المريني<sup>1</sup>.

كما تميز عهده بإنتشار العلوم فقد كان من أحد العلماء حيث ألف كتاب " واسطه الملوك في سياسة الملوك".

. كما أخذ مدينة وهران من المرينيين سنة 1361م، وفي العام الموالي مدينة الجزائر لكن سرعان ما ثاروا ضده بإثارة الفتنة بين الأب وابنه كانت هذه من بين الأسباب التي أضعفت السلطة في الدولة ، وفي ظل هذه الصراعات جدد بنو مرين زحفهم على تلمسان مرة أخرى 1370م، بزعامة السلطان أبي فارس عبد العزيز.

في هذه الأثناء فر أبو حمو موسى، حتى توفي أبي فارس ودارت حروب أهلية من جديد انتهت بمقتل أبي تاشفين وقيام المنتصر المريني باحتلال مدينة تلمسان 1393.

— **دور التدخل الحفصي الثاني:** ويتمثل هذا الدور من تاريخ الدولة الزيانية في بداية مرحلة الضعف وعودة الحفصيين مرة أخرى في التدخل في شؤونها الداخلية بعد ضعف الإمارة المرينية وتداعي الأوضاع الداخلية للإمارة الزيانية نفسها، وقد بزر خلاله الخطر الحفصي بعد 1393م ، إذ أخذت تعزل من تشاء حسب مصلحتها إضافة إلى الصراع على الحكم، مما ساعد هذا القوى الخارجية على إلحاق الهزائم بهم وبإماراتهم وإضعاف شأنهم<sup>2</sup>.

وفي الوقت الذي أخذت فيه أخطار بني يزيد تضعف وتقل على بني زيان من الغرب برزت من جديد أخطار الحفصيين من الشرق الذي تجددت أطماعهم ضد تلمسان وإمارتها وأصبحوا يتحفزون للفوز بالسيطرة عليها وضمها إلى ممتلكاتهم فبعد أن انتصب الأمير أبو مالك الزياني على عرش تلمسان، فأصلح أوضاع إمارته وقضى على النفوذ المرينيين في الغرب، و غزا فاس، فتخوف السلطان الحفصي أبو

<sup>1</sup> مختار حساني: المرجع السابق، ص 14.

<sup>2</sup> يحي بوعزيز: المرجع السابق ، ص 74.

فارس عزوز من ذلك، في عام 1424 اقتحم تلمسان وحاصرها وعين محمد بن الحمرة وفعل نفس الشيء بعرش فاس ولما رأى أبو مالك نجاحات أبو فارس أعلن خضوعه فأعادته إلى عرشه، وبذلك تثبت سلطة الحفصيين<sup>1</sup>.

ـ الدور الأخير من الدولة: من هذه الدولة فيعتبر نهاية التواجد الزياني وقد ميزته أحداث أهمها:

التدخل الإسباني في شؤون الدولة الداخلية إضافة إلى تدخل الأتراك كطرف رابع في الصراع عليها إلى جانب بني مرين والسعديين والإسبان.

كما امتاز بضعف السلطة الزيانية في تلمسان وتقلص سيادة من مساحة كبيرة من المغرب الأوسط وتبعية السلطان الزياني للدول المجاورة من المرينية والحفصية وازدياد نفوذ القبائل العربية على تلمسان والأراضي الزيانية ، ولكن رغم هذا فإن الزيانيين تمتعوا بفترات من الاستقلالية والسيادة المطلقة عن جيرانها من بين هذه الفترات فترة أبي مالك عبد الواحد بن أبي حمو الثاني.

احتلال الإسبان للموانئ وهذا في مرحلة ضعف الدولة الزيانية من فترة حكم السلطان محمد السابع وتم احتلال المرسى الكبير عام 1505م مستغلين فترة الاضطرابات الداخلية وقد تسبب التدخل الإسباني في مشاكل تنس في حدوث حروب طاحنة بين عرش تنس وعرش تلمسان وتم احتلال وهران سنة 1509م ثم بجاية 1510، ودلس وعنابة هنين عام 1531م وتم الاستنجاد بالأخوة عروج وبربروس<sup>2</sup>.

## 2-المظاهر السياسية للدولة :

عمرت الدولة الزيانية أكثر من ثلاثة قرون (1236 . 1554م ) عرفت صراعا طويلا ضد قوى متطاحنة عليها تمثلت في:

. صراع الأمراء فيما بينهم على العرش والسلطة.

<sup>1</sup> فوزي مصمودي: المرجع السابق ، ص 163.

<sup>2</sup> يحيى بو عزيز: المرجع السابق، ص 81.

. تدخل الدولة المرينية من المغرب الأقصى والدولة الحفصية من الشرق بتونس في شؤون الدولة الزيانية الداخلية في محاولة للسيطرة عليها وإزالتها من الوجود.

. تدخل الاسبان تبعا لذلك ولنفس الهدف بعد ضعف الإمارات الثلاثة جميعا بالمغرب العربي.

. تدخل الأتراك في النهاية إنقاذا لوجودهم بالجزائر وإنهاء الوجود الاسباني بسواحل الغرب الجزائري<sup>1</sup>.

. كما كانت الدولة بني زيان في تلمسان مظاهر سياسية ميزتها اتضحت من خلال تاريخها من أهمها:

1. اقتصار منصب السلطان على بني زيان: بحيث أن جميع حكام الدولة كانوا من آل يغمراسن وبمعنى أصح أن الحكم كان وراثي بحته.

2. ولاية العهد: وهو تعيين ولي العهد أي الذي يحكم السلطة لتجنب الخلافات وقد طبق هذه السياسة الحكام الزيانيون وفي حالة موت السلطان قبل تعيينه ولي العهد يليه الابن الأكبر.

3. البيعة: كانت البيعة على نوعين الخاصة والعامة: فالخاصة كانت تتم من قبل أهل السلطان وعائلته، أما العامة فكانت تتم من قبل العامة من الشعب وبعدها بيعة المدن والقبائل الخاضعة للدولة، وتتم البيعة إما بالمصافحة أو تقبيل اليد<sup>2</sup>.

4. تولي أقرباء السلطان مناصب حساسة:

وهذا بتعيين السلاطين المناصب المهمة للأقربين مثل تعيين يغمراسن لابن أخته عبد الملك على سلجماسة، وفي هذا قال عبد الرحمن بن خلدون: " وكان يغمراسن بن زيان كثيرا ما يستعمل قرابته في الممالك وتوليهم على العملات "

. مجلس المشيخة: ويمثله زعماء القبائل والفروع لقبيلة بني عبد الواد ويتمثل حضورهم في إصدار القرارات من بين هذه تعيين الأمير أبي زيان سلطانا بعد وفاة والده.

<sup>1</sup> يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 51.

<sup>2</sup> بسام كامل: المرجع السابق، ص 92.

5. التمرد والثورة ضد السلطان: برزت ظاهرة التمرد والخروج على السلطان وانقسمت إلى ثلاثة أقسام: منها الثورة على السلطان من قبل أحد أبنائه أو أشقائه وقد بدأت هذه الظاهرة من بداية الدورة، والنوع الثاني هو الثورة ضد السلطان من قبل أحد أفراد البيت الزياني للحصول على السلطة، والقسم الثالث عزل السلطان من قبل الرعية وهذا عندما يرى الشعب أن السلطان لا يجوز له حكم الرعية بسبب تصرف أو ما شابهه.

6. إبعاد أقرباء السلطان عن العاصمة: وقد طبق هذه السياسة يغمراسن عندما بعث قسما من أقربائه من بني مكن إلى الأندلس كما فعل هذا أبو تاشفين الأول وكان من وراء هذه السياسة هو الخوف على مكانة السلطان.

7. الرهائن: وهي أخذ الرهائن من القبائل الخارجة عن الطاعة مقابل ولائهم وطاعتهم للسلطان وقد بدأت هذه الظاهرة في عهد السلطان أبو حمو الأول (708 هـ . 817 هـ) وقد ساعدت هذه الظاهرة على إعمار المدينة.

8. زواج الأقارب: والغرض منه الحفاظ على سلطتهم مثل السلطان أبو حمو موسى الأول عندما زوج ابنته إلى إبراهيم بن علي بن يحيى بن مكن.

### ثانيا: الأوضاع الاجتماعية

#### الطبقات الاجتماعية :

عرف المجتمع الزياني كغيره من المجتمعات الطبقيّة<sup>1</sup> والتي تعبّر عن مرتبة مجتمع ما حسب ظروف معيشتة، و اطلقت المصادر مصطلح الطبقة للتعبير عن الهرم التراتبي في المجتمع كمعالجة وقف معايير سياسية واقتصادية ، و علمية .<sup>2</sup>

و لقد أورد ابن خلدون " أن الجاه متوزع في الناس و مترتب فيهم طبقة بعد طبقة ، و ينتهي في العلو الى الملوك الذين ليس فوقهم يد عالية ، و في الاسفل الى من لا يملك ضرا و لا نفعا بين أبناء جنسه،

<sup>1</sup> مختار حساني:المرجع نفسه ، ج 3 ، ص 83 .

<sup>2</sup> اسماعيل بركات: المرجع السابق ، ج 1 ، ص 97 .

و بين ذلك طبقات متعددة بما ينتظم معاشهم و تشير به مصالحهم و يتم بقاؤهم<sup>1</sup> فاعتبر ان الخاصة هم أصحاب الجاه<sup>2</sup> ، و العامة هم من يفقدونه و يضيف الى أن كل طبقة من طبقات أهل العمران من مدينة أو اقليم لها قدرة على من دونها من الطبقات و كل واحد من الطبقة السفلى يشهد هذا الجاه من أهل الطبقة التي فوقه ، و الجاه على ذلك داخل على الناس في جميع أبواب المعاش و يتسع و يضيق بحسب الطبقة و الطور الذي فيه صاحبه ، فان كان الجاه متسعا كان الكسب كذلك ، وان كان ضيقا فمثله ، و فاقد الجاه و ان كان له مال فلا يكون مساره بمقدار عمله أو ماله و نسبه سعيه ذاهبا و آيبا في تنميته كأكثر التجار و أهل الفلاحة في الغالب و أهل الصنائع<sup>3</sup> كذلك اذا فقدوا الجاه و اقتصروا على فوائد ضائعهم ، فانهم يضيرون الى الفقر و الخاصة<sup>4</sup> و يقسم الوزان أهل تلمسان الى أربع طبقات حددها في فئة الصنائع ، التجار ، الطلبة ، الجنود<sup>5</sup> .

- أما ابن خلدون فحسب ما وضعه عن الطبقة يمكن أن نستنتج من خلاله ان نقسم المجتمع الى نوعين : الخاصة و العامة .
- فالخاصة يعني الحكام و الفقهاء من رجال العلم ، والاشراف ، وكبار التجار ، و العامة من الصنائع و التجار الصغار ، و الجنود و الطلبة و العبيد ، اضافة الى الفقراء من العامة .

<sup>1</sup> ابن خلدون: المقدمة ، ج 1 ، ص 77 .

<sup>2</sup> يعرف ابن خلدون الجاه : " القدرة الحاملة للبشر على التصرف من تحت ايديهم من ابناء جنسهم بالاذن و التنازع و التسلط بالقهر و الغلبة ليحملهم على دفع مضارهم و جلب منافعهم في العدل بأحكام الشرائع و السياسة ، وعلى أغراضه فما سوى ذلك ولكن الأول القضاء الالهي ، ينظر الى نفسه .

<sup>3</sup> ابن خلدون: المصدر السابق ، ص 77 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 78 .

<sup>5</sup> الوزان: المصدر السابق، ص 409 .

### 1- الطبقة الخاصة :

وقد وصفهم ابن خلدون بأهل الحلّ و العقد و من طبيعتهم " الترف و الدعة و السكون " بينون القصور و يجزّون المياه ، و يغرسون الرّياض و يستمتعون لأموال الدنيا ، و يؤثرون الراحة على المتاعب و يتأنقون في أحوال الملابس و المطاعم و الآنية و الفرش ما استطاعوا " <sup>1</sup> ، وقد كانت السلطة في الدولة الزيانية الى بني عبد الواد من بني طاع <sup>2</sup> على حسب تعبير ابن خلدون ، و ضمت هذه الفئة الى جانب السلاطين من بني عبد الواد ، أبناء عمومتهم فهم أوسع جاها ، و أعلى رتبة و أقرب من السلطان مجلسا " <sup>3</sup> .

### طبقة العلماء و الفقهاء و القضاة :

شكل القضاة طبقة متميزة في المجتمع المغربي عامة ، اذ كانوا يحظون بمركز مرموق لدى المجتمع و كان معظمهم من الأثرياء ، و كانوا يتولون مهمّة القضاء و قد ذكر هذا الونشريس في قوله أن المغرب لم يكن بها قضاة بل كان الفقهاء و أهل العلم من المعدول أن يقوموا بتطبيق الحدود و اقامة الأحكام <sup>4</sup> و قد كان القضاء على درجات أعلاها قاضي الجماعة <sup>5</sup> المشرف في المدينة و يساعده المشاور <sup>6</sup> ، و هو الذي يتولى مهمة تعيين القضاة في الدول بعد استشارته طبعا من قبل السلطان ، و من بين قضاة الجماعة

<sup>1</sup> اسماعيل بركات: المرجع السابق، ص 98 .

<sup>2</sup> ابن خلدون: المصدر نفسه، ج7 ، ص 97 .

<sup>3</sup> اسماعيل بركات: المرجع نفسه، ص 99 .

<sup>4</sup> كمال السيّد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى

المعيار المغرب للونشريسي، مكتبة الاسكندرية، ص36

<sup>5</sup> حساني مختار: المرجع السابق، ج3 ، ص 97 .

<sup>6</sup> اسماعيل بركات: نفسه، ج1 ، ص 100 .

في تلمسان سعيد العقباني<sup>1</sup> اضافة الى قاضي الحضرة و هو بمثابة الموثق و المعدل بالنسبة الى الأشخاص المنتمون الى السلطان ، ومن بين هؤلاء نذكر<sup>2</sup>:

" أبو الحسن المقرئ " <sup>3</sup> قاضي حضرة تلمسان ، أما في المدن الأخرى فنذكر " أبو زكرياء المغيلي " عن مدينة تنس ، و الغرناطي في مدينة وهران <sup>4</sup> ، الا أنه قد وجد فئة الفقهاء ممن كانوا يتولون هذه المهمة رغبة في كسب المال و الغش بأخذ الرشوة مقابل فتواهم و قد تعرض الونشريسي في بعض نوازله عن "رجعة المطلقة ثلاثا في كلمة واحدة"<sup>5</sup>

### طبقة الأشراف :

وهم الذين ينتمون الى البيت النبوي الشريف و هي طبقة كانت تحظى بالقدر الكبير من الاحترام<sup>6</sup> وقد جعل السلطان أبو حمو موسى الثاني الأشراف في المرتبة الأولى و في هذا قال : " يكون الشرفاء عندك أرفع الناس في الرتب لأنهم أشرفوا في الحسب و أعلاهم في النسب " <sup>7</sup> ، وذكر التنسي أن السلطان أبي العباس أحمد العاقل (834-860 هـ) حمل لقب أمير المسلمين ، و أن من خصائص السلطان ابن عبد الله محمد المتوكل (866 - 873 هـ) حصول الشرف له من أبويه جميعاً<sup>8</sup> ، ومن بين الذين استقروا في تلمسان أولاد "عنان" ، و أولاد "سيدي ابراهيم بن يحيى" <sup>9</sup> .  
وفي نهاية الدولة قلّت العناية بالأشراف الا أنهم كانت لديهم هيبة النفوس .

<sup>1</sup> سعيد العقباني : قاضي و فقيه تولى القضاء و كان قاضي الجماعة بتلمسان و بجاية و مراكش و سلا و وهران و هنين ، ينظر يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 123 .

<sup>2</sup> حساني مختار: المرجع السابق، ص97.

<sup>3</sup> أبو الحسن المقرئ : من أهل العلم و الدين ، قاضي حضرة تلمسان الآن ، خير فاضل على هدى الملف الصالح ، ينظر الى يحيى ابن خلدون : بغية الرواد ، ج1 ، ص 121 .

<sup>4</sup> ، حساني مختار: المرجع نفسه ، ص97 .

<sup>5</sup> الونشريسي : المصدر السابق ، ج5 ، ص 121 .

<sup>6</sup> كمال السيد: المرجع السابق ، ص 37 .

<sup>7</sup> مختار حساني: المرجع نفسه، ج3، ص ص 91، 92.

<sup>8</sup> التنسي: المصدر السابق ، ص 266 .

<sup>9</sup> مختار حساني: المرجع نفسه، ص 93 .

## طبقة التجار:

و قد وصفهم الوزان بقوله : " أما التجار فهم أناس منضمون و مخلصون جدا و أمناء في تجارتهم يحرصون على أن تكون مدينتهم مزودة بالوئ على أحسن وجه ، أهم اسفارهم التجارية هو الذين يقومون به الى بلاد السودان ، وهم وافروا الغنى أملاكا و نقودا ، و يرتدون لباسا جميلا ، يكون أحسن من لباس أهل فاس " <sup>1</sup> ، وقد ظهرت بتلمسان عائلات اهتمت بالتجارة أشهرها ، عائلة المقربي التي احتكرت تجارة السودان المغربي و عائلة النجار <sup>2</sup> ، و المرازقة <sup>3</sup> و عائلة العقباني التي كانتا كانتا من العائلة التي كونت طبقة برجوازية في تلمسان ، وكان بعض من التجار المتجولين ، منهم زيان الذي رافق ابن بطوطة في رحلته و البعض الآخر مستقر في بلاد السودان ، مثل الشيخ اللباني الذي كان مقربا من سلطان " مالي " <sup>4</sup> ، وقد كانت هذه الطبقة من التجار تتشكل من تجار مسلمون ، و تجار يهود الذي تمثل دورهم في الوساطة بين تجار تلمسان و تجار أراغونة واشتهروا بالعمل في الذهب و الفضة و قرض المال ، أما عن السلع التي كانوا يتاجرونها فاشهرها : الأسلحة ، العبيد <sup>5</sup> ، أما بالحديث عن تجار المسيحيون فقد أنفنا بذكرهم و أن المسيحيون شكّلوا جزءا من مجتمع تلمسان ، وقد برزوا في كثير من الميادين اضافة الى دورهم التجاري الذي تمثل في استراد السلع و تصديرها بين تلمسان و مختلف الدول الأوروبية .

<sup>1</sup> الوزان: المصدر السابق، ص 409 .

<sup>2</sup> عائلة التجار من الأسر التي تملك أموالا طائلة أشهرهم الصالح الأمين أبو زيد عبد الرحمان بن النجار الذي كان يملك معامل الحياكة الحياكة و الصوف ينظر الى فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 107 .

<sup>3</sup> مختار حساني: المرجع السابق، ص 89 .

<sup>4</sup> لطيفة بشاري: العلاقات التجارية للمغرب الأوسط (في عهد امارة بني عبد الواد من القرن التاسع الى القرن العاشر الهجريين 13-16 م) ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بتلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية ، 2011 ، ص 170 .

<sup>5</sup> نفسه ، ص 173-175 .

## 2- الطبقة العامة:

أما العامة فيكمن من الصناع و الجند و صغار التجار ، الخدم و العبيد ، الفقراء و المعوزين .

**الصناع و الحرفيون:** تعدّ هذه الطبقة العمود الفقري لاقتصاد دولة بني زيان و تميزت بالتنوع سواءا من أصحاب الصناعة أي أجناسهم أو نوع الصناعات .

كما تميزت هذه الفئة بالنشاط و المهارة و الإتقان والتي شهدت تطورا مع مرور الوقت في حياة الدولة ، وقد وصفهم الوزان بقوله : " اما الصناع فهم أناس أقوياء يعيشون في هناء ، و يجبون التمتع بالحياة " أما عن لباسهم فقال ايضا : " انهم يرتدون لباسا قصيرا و القليل منهم يتعمّم ، و يكتفون بوضع قلنسوة بدون ثيابا على رأسهم و ينتعلون نعالا نصف الساق " <sup>1</sup> ، و قد تنقسم الصناعة في المدينة حسب ما يسمى بنظام النقابات و هو أنه كل طائفة تتجمع على حسب نوع الصناعة <sup>2</sup> ، كالصناعة، الاسلحة، الأقمشة، والحياكة و الصباغة و الدباغة و التعدين و غيرها، اضافة الى صناعة السفن فهذه الطبقة قد تتنوع أيضا في أحوال أصحابها ، كل حسب نوع صناعته أو حرفته ، و المدخول الذي يجنيه و قد اشتهرت عائلة آل الرصاع في تلمسان <sup>3</sup> ، وقد ساهمت هذه الفئة في اقتصاد البلاد ، اضافة الى عمراؤها فقد كان للبنائين و المهندسين دورا بالغ الأهمية في بناء القصور ، و القلاع و المساجد الى غيرها و التي بقيت آثارها ليومنا هذا .

<sup>1</sup>الوزان: المصدر السابق، ص 409.

<sup>2</sup> فيلاي: المرجع السابق، ج 1، ص 110.

<sup>3</sup> آل الرصاع: عائلة من عائلات الأنصار بمدينة تلمسان عرفت بالفضل و المجد و النباهة و الكرم و لم تكن لهم سابقة راسخة في العلم و جد المؤلف الرابع للأب كان نجارا تميّز بالبراعة في الصناعة و روعة الدقة في الترصيع في الخشب فعرف بالرصاع ... للمزيد ينظر الى ، أبي عبد الله محمد الأنصاري: فهرست الرصاع ، تح : محمد العنابي ، المكتبة العتيقة 614 جامع الزيتونة ، تونس ، ص

### صغار التجار :

تكونت هذه الطبقة من صغار التجار الذي كان عددهم كبيرا بحيث كان نشاطهم في الأسواق و الدكاكين ، و منتشرين في المدينة و القرى و البوادي و لقد كانت القيصارية من أشهر الأسواق في المدينة عرفت تجمعا كبيرا لهذه الفئة و قد تنوعت هذه الطبقة فقد كان هناك تجار أندلسيون ، و مسيحيون، و مسلمون، ويهود و، نصارى أيضا

- ولقد اشتهر بنو مرزوق بالتجارة في الدكاكين لهم بالقيصارية بتلمسان ،<sup>1</sup> ومهما يكن فإن هذه الطبقة ساهمت بشكل فعال في التجارة الداخلية وحافظت على عصب الإقتصاد الداخلي ، في مرحلة ازدهار الدولة حيث وصلت الى مرتبة الرخاء الإقتصادي و بطبيعة الحال فقد كانت مرتبطة بالتجارة الخارجية .

**الجند :** هذه الطبقة انقسمت الى فرق ، و كانوا أغلبهم من النصارى و الأعلاج و الصقالبة ، و القلطنيين ، و المرتزقة ، وقد كان لباسهم يمثل درجاتهم اذا كان البعض كما يقول الوزان يضعون على ظهرهم قميصا واسعا عريض الكمين يغطونه بكساء كبير جدا من قماش القطن يلتفون به شتاء و صيفا ، اما العسكريون الأرقى درجة فيضعون فوق القميص كساء آخر من الجوخ ، و فوقه معطف على نمط المعاطف التي كانت تستعمل قديما في ايطاليا للأسفار<sup>2</sup> .

- أما عن أجرهم فكانوا يتقاضون أجرا لابس به حسب الرتب ، تمثل دور هذه الطبقة في حماية البلاد و المشاركة في الحروب التي عرفتها الدولة طوال حياتها ، وقد كان اهتمام السلاطين بها بالغا فقد كانت الدولة حربية بطبعها .

<sup>1</sup> فيلاي: المرجع السابق ، ج1 ، ص 111 .

<sup>2</sup> الوزان: المصدر السابق، ص409.

الفقراء و المعوزين :

لا يخلو أي مجتمع من هذه الفئة و التي تتكون من الفقراء من الناس و المتسولين و البطالين ، و أهل السجون ، و ارذال الناس و اللصوص<sup>1</sup> ، و يمكن أن نضيف الطلبة الى هذه الطبقة فقد و صفهم الوزان " بأفقر الناس لأنهم يعيشون عيشة بئيسة في مدارسهم"<sup>2</sup> ، و يلبسون لباسا مناسبا لوضعيتهم ، و هذه الفئة ميسورة الحال و أغلب أصحابها بدون عمل لا يكادون يكفون حالهم في العيش ، كما كانت هذه الطبقة الأكثر عرضة للأمراض لنقص الغذاء ، كما كانت ضحية أزمات عدة كالحروب و المجاعات ، و الأوبئة التي تشهدها البلاد .

-العبيد و الخدم :

تعتبر أيضا من الفئات الميسورة الحال ، فقد كان العبيد و الخدم يعملون في المنازل ، و القصور و المزارع<sup>3</sup> ، و قد تنوعت أجناسهم و قد كانت الجوارى من الروم ، والإسبان ، كما كان أيضا الجيش يتكون فيه جزءا من العبيد ، وكانت هذه الفئة لا تحظى بالكثير من الإحترام من قبل اسيادهم .

<sup>1</sup> فيلاي: المرجع السابق، ج 1 ، ص 112 .

<sup>2</sup> الوزان: المصدر نفسه، 409 .

<sup>3</sup> فيلاي: المرجع نفسه .

## ثالثا: الأوضاع الاقتصادية

الاقتصاد هو عصب الحياة بالنسبة إلى أي نظام سياسي، ذلك أنه هو الذي يحدد مدي ثراء الدولة أو فقرها ولا شك أن الحياة الاقتصادية تستمد وجودها من إمكانيات اقتصادية تتماشى بها المؤسسات المختلفة في الدولة سواء فيما يتصل بالزراعة أو التجارة أو الصناعة.

وإذا كانت موارد الدولة تحدد من خلال هذه المجالات فإنها تتأثر إيجابيا بالوضعية السياسية وما يقوم بين الدولة وجيرانها من حروب كما تتأثر بالوضع الاجتماعي وخصوصا ما يتصل بالأمن، وكلما كانت الدولة مستقرة أصبح نظامها الاقتصادي أكثر تطورا، وكذا الحال بالنسبة للدولة الزبانية يبدو في الوضع متواز بين التحكم في مقدره الدولة الاقتصادية ومواجهة الضغط العسكري والسياسي واضطراب الأمن داخلها، وتبدو هذه الوضعية نصف مستقرة لم تصل إلى حد الانهيار أو الاستقرار الكامل الذي يؤدي إلى الرقي في المجال الاقتصادي<sup>1</sup>.

كما أن لمدينة تلمسان موقع جغرافي ساعدها في تكوين اقتصاد مهم، فقد انتشرت الزراعة في ربوعها وظهرت صناعات متعددة، في نفس الوقت ظهرت حركة تجارية مع الأقطار المجاورة<sup>2</sup>.

ويؤكد ابن خلدون على ثلاث وجوه للمعاش: أما الأول فيعتبر الفلاحة أقدم وجوهه لأنها "بسيطة وطبيعية وفطرية لا تحتاج إلى نظم ولا علم"، وأما المعاش الثاني فيتمثل في الصناعة المتأخرة عن الزراعة لأنها "مركبة وعملية التصرف منها الأفكار والأنظار"، وأما المعاش الثالث فهو التجارة، وإن كانت طبيعية في الكسب فإنما "هي الحصول على ما بين القيمتين في الشراء والبيع لتحصيل فائدة في الكسب"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - مختار حساني: المرجع السابق، ج3، ص 11.

<sup>2</sup> - بسام كامل: المرجع السابق، ص 90.

<sup>3</sup> - ابن خلدون: المقدمة، ج2، ص 132.

ونحن أمام نظرة الخلدونية التي تشكل قاعدة رصد الأحوال الاقتصادية التي عرفتھا الدولة الزيانية في وجوه معاشھا الثلاث.

أما الزراعة فقد شكلت الشغل الأساسي لمجتمع بني زيان، خاصة إذا تعلق الأمر بالبدو والرحل وبالمقابل كانت الأملاك الزراعية مرتبطة بممارسة السلطة السياسية، مما يدل على وجود مساحات مختلفة على مستوى ظروف الإنتاج وأنواعه ونوعيته، بساتين، حبوب، خضر، وفواكه، تربية الماشية<sup>1</sup>.

### 1 المقدرات الطبيعية:

لقد سبقنا القول أن بني عبد الواد حكمها لفترة من الزمن مدينة تلمسان والتي تقع بين الصحراء والتل وتشرف على البحر الأبيض المتوسط، ولا تفصلها سوى مرتفعات ساحلية، سمحت بتسرب المؤثرات المناخية، بينما تمنع السلاسل الجنوبية المرتفعة مؤثرات الصحراء من التسرب إلى المنطقة وفي نفس الوقت تحمي تلمسان دون أن تعزلها عن بلدان جنوب الصحراء، ولأنها تحتوي على فتحات أصبحت ممرات تعبرها القوافل التجارية<sup>2</sup>.

ولقد قال البكري عنها: "وهذه المدينة قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق والمساجد، ومسجد جامع، وأشجار، وأنهار عليها طواحين، ونهر سطيفسيف"، وأيضاً قال " وفي الجنوب من تلمسان قلعة ابن الجاهل وهي قلعة منيعة كثيرة الثمار ويتصل بها جبل تارقي وهو ما يليه جبال معمورة إلى مدينة تينريل وهي أول الصحراء ومنها يسافر إلى سلجماسة والى وار جلان"، وفي الشمال قال: "من تلمسان منزل يسمى باب القصر فوقه جبل البغل ينبعث من أسفله نهر سطيفسيف"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - بركات إسماعيل، المرجع السابق، ص 50.

<sup>2</sup> - لطيفة بشاري: المرجع السابق، 46.

<sup>3</sup> - أبي عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص 80.

وبشأن المقدرات الطبيعية التي اكتسبها إقليم تلمسان هي وجود السهول والجبال والأنهار إضافة إلى طبيعة التربة والمناخ.

ومن السهول التي ساعدت على الزراعة في تلمسان: "سهل المنية"<sup>1</sup>، وسهل وادي الشلف<sup>2</sup>، وسهل متيجة<sup>3</sup>، إضافة إلى جبال مملكة بني زيان والتي تعتبر ثروة طبيعية ساهمت في النشاط الزراعي لتوفرها على الأنهار واقتصاديا حيث اعتبرت الطريق التجاري لمرور القوافل التجارية بين القبائل، ووسط المدينة، كما أن لهذه الجبال خصائص مختلفة المناخ واختلفت في الزرع والمسكن<sup>4</sup>.

أ- **جبل بنى يزناسن:** ويصفه الوزان قائلاً: "شديد الوعورة والارتفاع، صعب المسالك تكسوه غابات كثيرة تنتج كمية وافرة من الخروب، الذي يعتبر الغذاء الرئيسي للسكان، إذا ليس لهم سوى القليل من الشعير، ويضم هذا الجبل مداشر عديدة يسكنها قوم ذو بأس شديد"

ب- **جبل مطغرة:** والذي عرف بارتفاعه الشاهق، والبرودة الشديدة، إذا لا ينبت فيه إلا حب الشعير، وتوفره على الخروب، وبه سكان كثير، أما جبل ولهاصة: فهو يجاور مدينة هنين، وتسكنه قبيلة عاتية الريفية، ينبت فيه القليل من القمح والكثير من الخروب.

ج- **جبل أغبال:** وكان يسكنه سكان خاضعين لحكومة وهران على حد تعبير "الوزان" وكان هؤلاء فلاحون كلهم وحطابون.

د- **جبل بنى ورنيد:** فيقع على نحو ثلاثة أميال من تلمسان، كثير السكان، بحيث ينتج كمية وافرة من الفواكه، لاسيما التين والكرز<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سهل المنية: سهل قرب تلمسان، ينظر إلى بسام كامل، المرجع السابق، ص 187.

<sup>2</sup> وادي الشلف: يقع واد الشلف شرق مدينة مستغانم، ينظر إلى بسام كامل: المرجع السابق، ص 187.

<sup>3</sup> سهل متيجة: يقع قرب مدينة الجزائر، ينظر إلى نفسه، ص 187.

<sup>4</sup> الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية،

ج1، 2011، ص 36.

<sup>5</sup> - الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 43.

- هـ- **جبل مغراوة:** المخاذي لشاطئ البحر المتوسط والقريب من مستغانم، به أراضي جيدة، كما يقول الوزان ويسكنه أناس كرماء ونبلاء<sup>1</sup>.
- و- **جبل بنى بوسعيد:** المجاور لمدينة تنس، يسكنه الكثير من الناس غلاظ القلوب، يمتلكون الكثير من العسل والشعير والماعز، ويحملون الشمع والجلود إلى شاطئ تنس لبيعها إلى التجار الأوربيون.
- ز- **جبل ونشريس:** جيد التربة، كثير العيون، وفي قمته شديدة الوعورة كمية وافرة من معدن التوتيا، تسكنه قبيلة نبيلة<sup>2</sup>.
- إضافة إلى توفر مياه الأنهار والينابيع الصالحة للري، مثل وادي متشكانة وعين لوريط<sup>3</sup> وعين الفوارة، نهر سطفيسيف<sup>4</sup>، نهر تافنا.

توفر الأراضي السهلية من الناحيتين الغربية والشمالية، عرفت باسم "فحوص" التي تطل على فحوص افصح، معد لفلاح، مثل فحوص قرية العباد، وكانت الفحوص تنتج أنواعا كثيرة من المحاصيل الزراعية، سواء كانت تستخدم للاستهلاك الإنساني أو الصناعات<sup>5</sup>.

أما تركيب أرضها، فهي مركبة من عدة طبقات بعضها فوق بعض فأعلاها ما يقرب من سطح الأرض مكون من صخور الكلس المنشق، ثم تأتي بعدها طبقات أخرى مكونة من الصلصال، وتأتي بعدها طبقة ثالثة مكونة من الطين، وهذا التركيب هو الذي يصلح الاجتماع المياه في باطن

<sup>1</sup> - يقول الوزان بشأهم: لا يذكر لهذه القبيلة الكبيرة إلى رأس مغراوة، الواقع على مسافة 104 كلم شرق مستغانم و56 كلم غرب تنس، ينظر إلى نفسه.

<sup>2</sup> - ويقصد هنا بني توجين الزناتيون، ينظر إلى الوزان: المصدر السابق، ج2، ص43.

<sup>3</sup> - تبعد شلالة الوريث عن تلمسان بنحو 6 أميال وهي واقعة على الطريق الذاهبة إلى مدينة سيدي بلعباس، ينظر إلى بسام كامل المرجع السابق، ص 187.

<sup>4</sup> - سطفيسيف: كلمة بربرية أصلها أصيف بمعنى الواد ينظر إلى محمد شاوش، المرجع السابق، ص 37.

<sup>5</sup> - بسام كامل، المرجع السابق، ص 187.

الأرض عند نزول الأمطار، فهي تنزل ابتداء على صخور الكلس المنشق ثم تنفذ إلى الصلصال ومنه إلى الطين الذي لا يمكنها أن تخترقه فتكون حينئذ غمارا تحت الأرض<sup>1</sup>.

**أما المناخ والفصول:** لتلمسان مناخ خاص بها وإن كانت واقعة في إقليم ذي مناخ معتدل حار، فإن جوها يبقى معتدلا حتى في فصل الصيف لأن ريح السموم الآتية من الصحراء لا تؤثر فيه كما أشرنا إلى ذلك عند الكلام على موقعها.

أما البرد فإنه شديد بها في فصل الشتاء لارتفاعها عن سطح البحر كما ذكر ويشتد البرد في شهري ديسمبر وجانفي، وكثيرا ما تنزل الأمطار والثلوج في فصل الربيع.

أما الخريف فبوسعنا أن نقول إنه لا خريف بها لقصر مدته إذ أن الحرارة تبقى مرتفعة إلى أواخر شهر سبتمبر، ولا يعتدل الجو بها إلا مدة قليلة أثناء شهر أكتوبر وتنخفض بمجرد دخول شهر نوفمبر حيث تهب الرياح الشمالية الغربية حاملة معها الرطوبة والبرد، وأحسن أيامها الربيع إذ يمكننا أن نقول إنه يبدأ فيها في أواسط شهر فيفري.

ولا ينتهي الربيع إلا في أواسط جوان ففي أثناء هذه المدة الطويلة التي تبلغ أربعة أشهر فإن الجو الربيع إلا في أواسط جوان ففي هذه المدة الطويلة فإن الجو يعتدل بها اعتدالا جيدا.

**الأمطار:** إن ارتفاع جبال تلمسان عن سطح البحر هو السبب الرئيسي في غزارة الأمطار النازلة بها حيث أنها تنزل بها سنويا نحو 670م، ويبدأ نزولها غالبا في الشهر الثاني من الخريف في شهر أكتوبر ولا ينتهي نزولها إلا بانتهاء فصل الربيع، وقد تتخللها ثلوج كثيرة في فصل الشتاء، وحتى في أوائل فصل الربيع ومع ذلك فقد يتخلف المطر أحيانا أو يقل نزوله حتى في فصل الشتاء فيلجأ الناس إلى حفر الآبار لسقي زروعهم<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - محمد شاوش، المرجع السابق، ص 33.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 35.

**الحيوان:** عرفت دولة بني عبد الواد بيئة تكسوها الغابات التي تعيش بها الحيوانات مثل الضباع والثعالب والذئاب، ولاسيما الخنازير البرية، إضافة إلى أنواع أخرى من الحيوانات والطيور.

كما أن اهتمام الفلاحين بتربية الحيوانات الأهلية مثل البقر، والغنم من الضأن والماعز، والخيول والحمير الصالحة للعمل، والدجاج والحمام والبط ومما هو صالح لكسب والاستهلاك<sup>1</sup>.

**النبات:** عرفت جبال تلمسان بكثرة أشجار الصنوبر والبلوط والبطم والدردار، كما أن الربى والمفايزات تغطيها الأشجار الزيتون والخروب والضرو والعرعار بكثرة ولاسيما في منحدر الجبال وفي حافتي الأودية، ومن أعظم هذه الغابات زريفت، أحفير، الواقعتين في الجنوب الغربي من العاصمة.

أما البسائط المكثفة للمدينة والقريبة منها فإنها تمتاز بجودة أرضها المنتجة لجميع أصناف الحبوب من القمح والشعير والذرة، وكذلك جميع الخضر سواء منها التي تستهلك خضراء أو التي تيبس وتدخر لفصل الشتاء<sup>2</sup>.

**المعادن:** توفرت جبال تلمسان الواقعة في غربها وشمالها على معادن منها الحديد، والرخام، وفي هذا يقول الوزان عن مدينة تفسرة: "وفيها حدادون كثيرون لأنه توجد بقرها عدة مناجم للحديد"<sup>3</sup>، ومعدن التوتيا (الزنك) في جبل الونشريس حيث قال: "وفي قمته الشديدة الوعورة كمية وافرة من معدن التوتيا"<sup>4</sup>.

أما المواد الأولية: فمنها:

■ الصوف: والذي كان مصدره المواشي والأغنام التي كانت تتميز بها إمارة بني عبد الواد، والذي كان متوفرا، حتى أصبح فائض عن الإنتاج وأصبح يصدر إلى أوروبا.

<sup>1</sup> - محمد شاوش، المرجع السابق، ص 37.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 39.

<sup>3</sup> - الوزان، المصدر السابق، ص 412.

<sup>4</sup> - نفسه، 433.

- الجلود: تمثلت في جلود الغنم والعجول والثيران، والبقر والماعز والخيول، حيث كانت هي الأخرى تصدر واختلفت أسعارها باختلاف نوعها.
- المواد المصنعة: وهي النيلة، وورد النيل، وهو نبات عشبي للصبغة ينمو بكثرة في وهران، أيضا قشر الدبغ، وهو لحاء الشجر، ينمو في شمال بلاد المغرب الأوسط ويستعمل لدباغة الجلود.
- المرجان: وتتوفر بسواحل المغرب، ويستعمل لتكملة أجزاء من المجوهرات وقد بدأ استغلاله في سواحل تنس، ومرسى الخرز (القاله)<sup>1</sup>.

## 2\_ الزراعة:

عرفت الملكية في المغرب الإسلامي على العموم نوعين من الملكية، ملكية عامة، وملكية خاصة، فالملكية العامة تخص أهل البادية وتسمى بأراضي العروش أي الملكية المشاعة وكذلك الحمى<sup>2</sup> وهو ما تحميه القبائل الرعوية من البدو الرحل واستغلالها جماعيا في تربية المواشي، ويدخل هذا في إطار نظام الجبوس والذي يخص قطاعا من الأرض انتقل من ملكية خاصة إلى العامة وذلك بزيادة التأثير الديني على المجتمع الزياني، وقد مثل هذا النظام نسبة كبيرة من مجموع الأراضي الزراعية والتي آلت بعد حبسها للإنفاق من عائداتها على المساجد والمدارس والزوايا<sup>3</sup>.

وقد كشفت النوازل عن علاقات مختلفة بالأرض، كما سبقنا الذكر فهناك أراضي ملك<sup>4</sup>، وأراضي خاضعة للدولة قد تفوتها بالإقطاع أو تملكها عن طريق الأحياء<sup>5</sup>، وأراضي الأحباس، كما

<sup>1</sup> - لطيفة بشاري: المرجع السابق، ص ص 203 - 204.

<sup>2</sup> - يعني في الأرض الكأ والماء وذلك بتعدي مساحة الأرض لرعي الماشية، ينظر إلى مختار حساني، المرجع السابق، ص 15.

<sup>3</sup> - حساني مختاري، المرجع السابق، ص 15.

<sup>4</sup> - تستعمل النوازل تسميات مختلفة بالنسبة للأراضي الملك، مثل جنات، جنان، ضيعة، عرصة، بحيرة، روض ورياض، قرية، ينظر إلى الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، د ط، بيروت، 1981، ج 5، ص 97/ ج 8، ص 28/ ج 9، ص 11.

<sup>5</sup> - ولقد اختلف الفقهاء في موضوع الأرض التي تم إحيائها بدون إذن الإمام، ثم يقطعها هذا الأخير إلى شخص معين، ومنهم من يرى أن ذلك لا يغير شيئا، وأن الأرض ملك لمن هي بيده واعتبر البعض الآخر انطلاقا من مبدأ إذن الإمام أن من أحيائها وغرسها متعديا فيجب رفع أمره إلى السلطان الذي له وحده النظر في الإبقاء أو القلع، ينظر إلى الونشريسي، المصدر نفسه، ج 5، ص 117.

اعتنى الفقهاء بمعرفة ما إذا كانت صحية أو عنوية وهل أنها من حيث المبدأ، أرض عشر، أو أرض خراج<sup>1</sup>؛ وإن اختلفت إجاباتهم<sup>2</sup> حول حكم الأرض، فإنها خلصت إلى أحكام إيجابية بالنسبة للرعية، وأكدت حقوقها التاريخية والشرعية عليها.

ويدخل في هذا الإطار أراضي الدولة التي تخضع للسلطين حيث كانوا يتصرفون فيها كيفما شاءوا، وقد قال المازوني في هذا الصدد: "سئل العقباني عن قوم بأيديهم أراضي بأوامر السلطين المتقدمين ومن بعدهم يغتالونها بأنواع الغلل زمن الحرث وغيره، والأرض التي للأئمة إنما يعطونها في العادة إقطاعاً، لا تملكها وهي جماعية للمسلمين"، كما أفادت النوازل الواقعة في القرن 9 هـ / 15م، في حكم الأرض أنها "ليست بالعنوية ولا بالصلحية، وإنما أسلم عليها أهلها"، وأنه "إن خفي أمر الأرض، ولم يعلم هل هي أرض صلح أو عنوة، أو أسلم عليها أهلها فهي لمن وجدت بيده"، أو "ينظر إلى ما توالى عليه القرون من بيع الأرض وشرائها، وتحديد بها، فتحمل تلك الأرض عليه"<sup>3</sup>.

من هذه النصوص يتبين لنا نوع جديداً مما يؤول إلى الملكية العامة إلى مصادرة أراضي عمال الدولة الذين يستغلون نفوذهم بالكسب الغير المشروع، وعرفت هذه الظاهرة في التاريخ الإسلامي وبخاصة في فترات الضعف والصراع الذي قام بين أفراد الأسرة الحاكمة، والذي أثر على وضع الملكية وانتقالها من الملكية الخاصة إلى العامة، أما الملكية الفردية، فقد انقسمت إلى:

-الأراضي الواسعة التي يملكها كبار القبائل والتي يفلحونها بواسطة العبيد.

<sup>1</sup> - إسماعيل بركات: المرجع السابق، ص 51.

<sup>2</sup> - سأل بعض عمال منصور بن أبي عامر اهل الفاس عن حكم أرضهم هل هي صلحية أم عنوية؟ فأجابته الشيخ أبو جيدة بن أحمد البازغي: "ليست بصلح وإنما أسلم عليها أهلها، فقال لهم خلصكم الرجل، فأجاب فقيه القيروان علي ابن محمد بن مخلف المعضادي المعروف بين القابسي عن سؤال أشار في شرح الموطأ إلى اختلاف العلماء بشأن عنوية أم صلحية الأرض فقال: "إنها مختلطة هرب بعضهم عن بعض فتركوها فمن بقي بيديه شيء كان له"، ينظر إلى بركات إسماعيل، نفسه، ص 52.

<sup>3</sup> - مختار حساني، المرجع السابق، ص 27.

-الأراضي المجزأة إلى قطع صغيرة لكثرة التصرف فيها بالإرث والبيع أو الشراء<sup>1</sup>.

## 2\_1 أراضي الدولة والإقطاع: يشير مصطلح الإقطاع عند الونشريسي<sup>2</sup> "بأرياب الظهير" ومن أنواع

الأراضي والاقطاعات فنذكر منها:

### أ\_أنواع الأراضي :

- الأراضي الموات: وهي الأرض البور التي يقطعها السلطان وولي الأمر لمن يحييها ويزرعها<sup>3</sup>.
- الأراضي الظهير: والتي تتوفر بإفريقيا ويطلق عليها كذلك اسم "المزية الجبائية والعقارية"، ويذكر الونشريسي أن هذه الأراضي يقطعها السلاطين وخاصة سلاطين الدولة الحفصية لمن يؤدي خدمات للدولة، وكان إعطاء أرض الظهير "إعطاء منفعة لا إعطاء رقبة" أي أنها إذا أقطعت لشخص ما وتوفي أقطعت لغيره ولا تورث عنه، فهي منفعة لصاحب الإقطاع فحسب دون ورثته، ولقد جاء الونشريسي في شأن هذه المسألة منها: "سأل ابن عرفة عن الأرض التي تقطع للأعراب وغيرهم من الناس، هل تملك أملاك تاما أم لا؟ فأجاب: بأن إقطاعات إنما هو إقطاع انتفاع لا ملك"<sup>4</sup>.
- الأرض الموظفة: وهي التي فرض عليها وظيف للدولة (الضريبة)، ويلاحظ أنه في حالة شراء تلك الأرض لا يلزم المشتري دفع الوظيف إلا من يوم الشراء، فما بعده وليس قبل ذلك
- الأرض القانونية: وهي الأراضي التي يقطعها ولاة الأمر مقابل خدمات يقدموها للدولة، وتتميز بأنها ملكية خاصة لهؤلاء الأفراد، ويجوز بيعها وتوارثها.

<sup>1</sup> - مختار حساني: المرجع السابق، ص 18.

<sup>2</sup> - الونشريسي، المصدر السابق، ج 7، ص 334.

<sup>3</sup> - يجدر بالملاحظة أنه وردت إشارة في أحد النوازل تفيد بأن رجلا من أهل تلمسان استصلح أرضا بورا مهملة قرب العمران وغرسها، ثم باعها لرجل آخر، ويذكر ابن القاسم أن الموات القريب من العمران ليس لأحد إحيائه إلا بإقطاع من الإمام لزرعها على وجه النظر منها لعامة المسلمين ويجوز بيعها، أما الموات البعيد فهو لمن سبق إليه فأحيها، ينظر الونشريسي، نفسه، ج 7، ص 34.

<sup>4</sup> - ويذكر الونشريسي أنه وجدت بالمغرب أراضي أقطعت للأعراب وغيرهم من الناس، على سبيل مثال الإنتفاع، ولهذا فإن ذلك الإقطاع يعتبر إقطاع إنتفاع لا ملك، ينظر إلى الونشريسي، نفسه، ص 337.

## ب \_ أنواع الإقطاع:

أما الإقطاع فيمكن القول بصفة عامة أنه كان إما إقطاع تمليك أو إقطاع منفعة، فإقطاع التمليك هو أن تصبح الأرض المقطعة ملكا للمقطع، أما إقطاع المنفعة فهو أن للمقطع حق الانتفاع بالأرض وغلتها دون تملكها<sup>1</sup>.

أما في تلمسان فيمكن أن ندرج الإقطاع إلى ثلاثة:

1- **الإقطاع الحربي:** يخص هذا النظام بعض القبائل العربية والبربرية، حيث منحت الدولة بعض الأراضي لبعض القبائل، بأن ترسل عددا معينا من الجنود لتلمسان<sup>2</sup>، وبقما يطلب السلطان ذلك، كما تعاملت تلمسان مع القبائل البربرية بنفس النظام، ولقد أكد ذلك الحسن الوزان هذا في قوله: " ويمده بنفس العدد من المقاتلين"<sup>3</sup>.

لم تعتمد تلمسان اعتمادا كليا على هذا النظام، بل كان لها جيش نظامي يحصل فيه الجندي على راتب شهري، كما لم يطبق هذا النوع في الإقطاع على جميع القبائل داخل المغرب الأوسط، بل على قبائل معينة فقط، وكان الذي يوزع الإقطاع زعيم القبيلة وليس السلطان في تلمسان وكانت القبيلة تستخدم هذا الإقطاع إما للزراعة أو الماشية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - لقد حدد أبو يوسف هذا النظام فقال " أن الأرض التي تكون لحاكم البلاد قبل فتحها أو تكون لرجل قتل في الحرب، أو أن من معين ماء أو نحو ذلك وهذه الإضافة من الأرض كان الخلفاء الراشدون يميزون إقطاعها لمن شأؤوا على أن يؤدوا شر مالها لبيت المال، وفي العهد الزياني كان السلطان يعمر بني يقطع قبائل السويد وبني عامر الأراضي المحيطة بالبطحاء وسيرت، وكان هذا بأخذ العهد عليها أن تكون حليفة في الحرب والسلم فإن نكثوا بالعهد نزع منهم، وقد ازدادت هذه الوضعية مع ضعف الدولة، وقد تبين أن فقهاء تلمسان استفادوا أكثر من الإقطاع، مثل التنسي والعقباني، ينظر إلى حساني مختار: المرجع السابق، ص 18.

<sup>2</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 77.

<sup>3</sup> - الوزان، المصدر السابق، ص 397.

<sup>4</sup> - بسام كامل، المرجع السابق، ص 196.

2- إقطاع التملك: يقام هذا النوع في تلمسان على تملك قبيلة معينة، بمساحة من الأرض لقبيلة معينة مقابل إرسال حصة من منتوج الأرض لخزينة الدولة، وغالبا ما كان هذا النوع من الإقطاع مع معظم القبائل، فإذا لم يتم منح الأرض الموات لاستصلاحها فإنها تملك<sup>1</sup>.  
نظم الزراعة: ومن بينها:

● نظام حراسة السواني والمزارع: وهو الحراسة مقابل أجر معين فكان كل حارس يتولى حراسة سانية أو أكثر، كما يتم استئجار الأبقار والثيران للدرس<sup>2</sup>.

- أما بالنسبة إلى نظم استغلال الأراضي فقد تعلقت بالمزراعة، المغارسة<sup>3</sup> والمساقاة.

ويحدد لنا الونشريسي في نظام المزارعة أن يقوم شخص بتسليم الأرض والبذور والبقر لشخص آخر، يلتزم بالعمل والحراثة والزراعة مقابل نصيب معين من المحصول المتفق عليه في العقد<sup>4</sup>.

● أما نظام المغارسة: فهو يشبه لحد ما نظام المزارعة غير أنه إلا في الأرض التي تغرس بالأشجار<sup>5</sup>.

● أما المساقاة: فقد عرفها المكناسي بقوله "عمل حائط على جزء من ثمرته" وهي مأخوذة من السقي، وتنعقد بالشروع في العمل، ويكون في النخيل والأشجار شرط بلوغها الإطعام، وأن يكون عقدها قبل أن يحل بيع ثمرتها، من شروطها: أن العمل على العامل، وألا يشترط أحدهما من الثمرة ولا من غيرها شيئا خاصة لنفسه، وألا يلزم العامل إنجاز ما يتأيد وإنشاء غرس تجني ثمرته لاحقا<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - الونشريسي، المصدر السابق، ج 5، ص 116.

<sup>2</sup> - كمال السيد، المرجع السابق، ص 66.

<sup>3</sup> - المغارسة: هي أن يدفع الرجل للرجل أرضها ليغرسها ثمرًا، فإذا أثمر فيكون بينهما على جزء معلوم، ينظر كمال السيد، نفسه، ص 67.

<sup>4</sup> - الونشريسي: المصدر نفسه، ج 8، ص ص 152-153.

<sup>5</sup> - فؤاد طوهارة: النشاط الاقتصادي في تلمسان اخلال العصر الزياني من 7هـ إلى 9هـ/ 13-15م، مركز الجيل للبحث العلمي، العدد الثاني، جوان 2014، ص 74.

<sup>6</sup> - بركات إسماعيل: المرجع السابق، ص 49.

ومصادر السقاية في المغرب الأوسط قد ذكرها الوزان في وصفه لتلمسان " وفي المدينة عدة سقايات<sup>1</sup>، وفسرها الونشريسي بالامطار، والعيون والآبار، والأودية والصحاريح<sup>2</sup>.

وقد فصل هذا النظام الونشريسي في إحدى نوازله أن نظام الري في تلمسان كان منظما بدقة<sup>3</sup>، حيث كان المزارعون يتعاونون على سقاية الأرض، فقد كان بتلمسان عين ماء مشتركة فيتناوبون على سقاية أراضيهم، ويضيف أن تلمسان كانت تستمد مياهها من الوادي، وتتشعب تلك القنوات لتروي المزارع والبساتين خارج المدينة.

### 3\_ الإنتاج الزراعي:

لقد وصف الجغرافيون الزراعة في تلمسان في عهد بني زيان ومن بينهم يحي ابن خلدون حيث قال " كريمة المنبت اشتملت على البساتين الرائعة تحف بخارجها الخمائل والأرواح الأشبهة والحدائق الغلب<sup>4</sup>".

فتلمسان عرفت بوفرة إنتاجها الزراعي، حيث أطلق عليها اسم بوماريا (أي البستان) بحيث زاد هذا الأخير أيام بني زيان لتشجيعهم للزراعة لشقهم القنوات المائية، وبناء الخزانات مثل الصهريج الكبير<sup>5</sup>.

وكما سبقنا الذكر أن نوعية الأرض التي تمتلكها المنطقة ارتبطت ارتباطا وثيقا بكمية الإنتاج حيث أن كل منطقة في تلمسان تميزت بمناخها، وماءها، وخصوبة تربتها، وتنوع المحصول.

إضافة إلى الثروة المائية من الأنهار والعيون، أما المحاصيل فقد تنوعت إلى:

<sup>1</sup> - الوزان:المصدر السابق، 408.

<sup>2</sup> - الونشريسي: المصدر السابق، ج 8، ص 379.

<sup>3</sup> - نفسه: ج 10، ص 275.

<sup>4</sup> - يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص 90.

<sup>5</sup> - بسام كامل: المرجع السابق، ص 166.

● **الخضر والفواكه:** وتوفرت أكثر في الأراضي المجاورة للأودية والعيون وتعددت أنواعها حسب ما أورده الجغرافيون في وصفهم منها: الجزر، واللوييا، والكرنب، والبصل، والخيار، والقثاء، واللفت، والبادنجان، والقرع، وقصب السكر، والقرنيط، والخس، والهلين<sup>1</sup>.  
 أما الفواكه: فقد وصفها الوزان بقوله: "... تنتج أعنابا من كل لون طيبة المذاق جدا، وأنواع الكرز كثيرة التي لم أر لها مثيلا في جهة أخرى والتين الشديد الحلاوة، والخوخ، والجوز واللوز والبطيخ"<sup>2</sup>.

● **الحبوب ومحاصيل أخرى:**

توفرت زراعة الحبوب في الأراضي السهلية خاصة منها سهل تسالة، ووادي الشلف وسهل تيارت، وسهول متيجة، وكل السهول المحيطة بمنطقة تلمسان، ومن أهم أنواع الحبوب: القمح، الشعير، وفي هذا الشأن قال الوزان "... أما تسالة فینبت بها قمحا جيدا غليظ الحب يمكنه وحده أن يزود مدينة تلمسان بما تحتاج من الحبوب"<sup>3</sup> وحوض الشلف وما جاوره فتنتج إلى جانب فنتنج إلى جانب القمح، الشعير والحنطة والكتان، وهذا إلى جانب المناطق الجبلية كجبل متغارة، وولهاصة، وبني يزناسن، ومطغرة التي لا تنتج إلا الشعير، حتى أن الفائض كان يصدر ولقد استخدمت المطامير<sup>4</sup> لتخزين الحبوب، لأوقات الحرب والحصار، والتي عادت بفائدة اقتصادية واجتماعية لتلمسان، ففي سنة 776هـ، حدثت مجاعة فاضطرت الدولة إلى طرح ما هو مخزن من منتوجها، وبيعه بأسعار منخفضة لتجاوز المجاعة وكان لهذه العملية شخص يعرف باسم خازن الزرع وهو الذي يهتم بكل طرق خزن الحبوب وكل ما يتعلق من المحصول مقابل أجر معين.

<sup>1</sup> - فؤاد طوهارة: المرجع السابق، ص 76.

<sup>2</sup> - الوزان: المصدر السابق، ص 411.

<sup>3</sup> - نفسه: ص 413

<sup>4</sup> - المطامير: هي حفر وغالبا ما تكون في الصخر لتخزن فيها الحبوب، وقد يسع بعضها إلى ألف دورجي من الحبوب، ينظر إلى بسام كامل: المرجع السابق، ص 188.

ودليل هذه هي كثرة الطواحين في تلمسان إضافة إلى أن الإنتاج منه وفير فرمما انتهت في الزوج بملائة إلى أربعمئة مد كبير، وهو ستون برشالة وزنتها ثلاثة عشر رطلا، من البر سوى الشعير والباقلاء<sup>1</sup>.

لهذا إضافة إلى زراعة القطاني، والنباتات الأخرى منها ما يضع منه الورق وأخرى ما يستخرج منه العطور مثل الخزامى، وكذلك المواد المصبغة التي تنبت في البراري مثل النيلة وورد النيل، والسماق<sup>2</sup>.

### تربية الحيوانات والرعي:

يؤكد ابن خلدون على أن الفلح "يكون بالنبات والزرع والشجر بالقيام عليه وإعداده لاستخراج ثمراته" أو: "أن يكون من الحيوان الداجن، لإستخراج فضوله المتصرفة بين الناس في منافعهم كاللبن من الأنعام والحزير من دوده، والعسل من نخله ويسمى هذا كله فلحا"<sup>3</sup>.

وأفادت إحدى النوازل إلى وجود أنواع من الماشية في تربيتها واستعمالها في كثير من الأنشطة كالماعز والغنم، والأبقار والخيول والبغول<sup>4</sup>.

ومن القبائل التي اشتهرت بتربية الماشية: قبائل بني توجين، ومغرواة خاصة في المرتفعات الجبلية، أما القبائل الناجعة فأغلب حيواناتهم الإبل بينما انحصرت تربية الخيول في المناطق السهلية والهضاب.

<sup>1</sup> - فؤاد طوهارة: المرجع السابق، ص 76.

<sup>2</sup> - بسام كامل: المرجع السابق، ص 189.

<sup>3</sup> - ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج 1، ص 397.

<sup>4</sup> - الونشريسي: المصدر السابق، ج 2، ص ص (10، 13، 15، 28، 29).

4-الصناعات:

أما عن أهم الصناعات<sup>1</sup> في تلمسان فنذكر منها:

- **صناعة النسيج:** من القطن والصوف والحريز والكتان، ونسج الصوف مع الحريز، وتميزت به المدينة عن غيرها من مدن المغرب والأندلس، "وغالب تكسبهم من الفلاحة وحوك الصوف"<sup>2</sup>، والأقمشة التلمسانية، أقمشة الزرابي، والحيك والحنابل، وهي زرابي طويلة خالية من النقوس ومفردها حنبل ومنها كانت تصدر إلى المغرب الأقصى والبرتغال وإيطاليا، وقماش الأكسية الذي يلبسه الملوك ورجال الحاشية<sup>3</sup>.
- **صناعة الجلود ودباغها:** والتي كانت تعتمد على جلود المواشي والعجول والخيول، تدبغ خارج تلمسان وتصدر إلى أوروبا. كما كانت أسعار الجلود تختلف بين المدن الزيبانية فقد تباع في مدينة مستغانم سنة 730هـ/ مئة وأربعون من جلود الثيران بمئة دينار، بينما الخرفان جلدها أرخص فقد بيعت بنفس المدينة، وبنفس السنة كل أربعمئة وستين بمائة دينار.
- **حرفة الصباغة:** وهي صباغة الأقمشة باستخدام مواد مصبغة خاصة مثل: النيل، وورد النيل، والسماق والحاء الشجر.
- **صناعة الورق:** ظهرت بدليل كثرة الوراقين وانتساخ الكتب وتجليديها.
- **صناعة الذهب:** استخدمه الزيبانيون في صك العملة وصناعة الحلبي، كان يأتي إلى تلمسان بشكل سبائك أو عملة في مدن سلجماسة.
- **صناعة الخردوات:** شملت صناعة الآلات الزراعية كمناجل الحصاد وسكك الحرث والأدوات المنزلية مثل: حلقات البيوت، والقذور والسكاكين وكان يصدر قسم منها للسودان.

<sup>1</sup> - الصناعات: قسمها بن خلدون إلى ما يختص بأمر المعاش من الحياكة والنجارة والحدادة وأمثالها، وإلى ما يختص بالأفكار من العلوم والصنائع والسياسة ومنها النسخ والغناء والشعر وتعليم العلم، ينظر إلى ابن خلدون: المصدر السابق، ص 138.

<sup>2</sup> - يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 92.

<sup>3</sup> - الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص 18.

• **صناعة النحاس:** كان يصنع منه الأدوات المنزلية ولوازم الخيل واللحام، وحلقة القدم والسرج والأقراط والتحف والنقش عليها<sup>1</sup>.

• **5- التجارة والنظم التجارية:**

لمدينة تلمسان دور تجاري بارز بحكم موقعها فهي تقع على الطريق الواصل بين المغرب الأدنى والمغرب الأقصى<sup>2</sup>، وفي نفس الوقت تعتبر حلقة وصل بين أوروبا وبلاد السودان، كما لميناء هنين، محطة للسفن التجارية التي تجوب البحر المتوسط، وبذلك كانت المدينة محط أنظار التجار من البلاد الإسلامية والممالك الأوربية وفي ذلك قال القلقشندي في صبح الأعشى "ويقصدها تجار الآفاق للتجارة"<sup>3</sup>.

دون إغفال أهمية باقي مدن المغرب الأوسط الأخرى من الناحية الاقتصادية وكمدينة بجاية مثلا، والتي اشتهرت بشمعها والذي كان يصدر إلى أوروبا، إضافة إلى القواعد التجارية الصحراوية.

وأصبحت التجارة مصدر ثروة سكان تلمسان الأساسي فكانت متاجرها فريدة الانتفاع وكون تجارها ثروة من الأموال والنقود، حتى ظهرت هذه الثروة على المستوى الرسمي والشعبي حتى أن السلطان عبد الرحمن بن تاشفين الأول عرض قرضا على جاك الثاني ملك الأراغون من خلال رسالة بعث بها السلطان عبد الرحمن الأول قائلا له فيها: "...وإن كنتم في حاجة من أن نقرضكم الذهب سنفعل شرط أن تمنحونا ضمانات على ذلك، وإن لم تقبلوا شروطنا فإن المعاملات بيننا سوف تتوقف"، وأما على المستوى الشعبي فقد ظهرت عائلات ذات ثراء واسع مثل عائلة العقباني ومرزوقة والمقري<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - بسام كامل: المرجع السابق، ص 203.

<sup>2</sup> - محمد بن عبد الله الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي) مع فهارس شاملة تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط 1، 1975، بيروت، ص 157.

<sup>3</sup> - أبي العباس أحمد القلقشادي: صبح الأعشى في صناعة الإنشى، دار الكتب المصرية، ج 5، ص 163.

<sup>4</sup> - بسام كامل: المرجع السابق، ص 202.

أ- التجارة الداخلية:

وكانت للتجارة في تلمسان مرافق أساسية شكلت قاعدة لتطورها على المستوى الداخلي والخارجي، فأما الداخلي فكانت ركيزته في الأسواق والتي جسدت بحق عصب الحياة الاقتصادية في المجتمع الإسلامي ككل<sup>1</sup>، وقد قسمت إلى:

✓ **الأسواق العسكرية:** والتي كانت تصاحب عادة الجيش في تنقلاته أثناء غزواته.

✓ **الأسواق الأسبوعية:** التي كانت تعقد في أيام معينة من الأسبوع.

✓ **الأسواق الموسمية:** خلال مواسم معينة من السنة.

✓ **الأسواق اليومية:** التي كانت موجودة بصفة دائمة في كل مدن المغرب الإسلامي.<sup>2</sup>

أما عن الحديث عن الدولة الزيانية فقد شهدت الأسواق تطورا كبيرا في التجارة الداخلية بحكم موقعها الاستراتيجي الذي يتحكم في الطرق التجارية الهامة مما جعلها تمتاز بالرفاهية، وقد أشار البكري لتوافد القوافل التجارية عليها من المناطق الصحراوية، ومما يدل على غناء المدينة أن الإدريسي يرى أنها تعتبر من أهم المدن والأكثر غنى بعد مدينة أغمات وفاس يضيف أنها كانت على علاقة تجارية خاصة مع المدن الأوربية.<sup>3</sup>

كما تنوعت السلع داخل الأسواق، واشتهرت كل منها بنوع معين في المعروضات فالبعض اختص بالتجارة في الحاصلات الزراعية، والبعض الآخر في المنتوجات الحيوانية والآخر في المنتوجات الصناعية، وكما كان هناك تكامل بين الأسواق بواسطة تبادل السلع بين المدن والقرى، فقد كانت مدن الدولة الزيانية تعتمد على القرى لمدى حاجياتها من المؤن الغذائية والمواد اللازمة للصناعة.

<sup>1</sup> - سكاكو حورية: التحولات الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال العهدين الموحديين والزيانيين من القرنين 610 هـ/1216م،

دار زهراء للنشر والتوزيع، ص 37.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 36.

<sup>3</sup> - مختار حساني: المرجع السابق، ص 44.

وانقسمت الأسواق إلى نوعين: أسواق حضرية وأسواق ريفية.

فالأولى: تقصدها مختلف القبائل في أيام معينة في الأسبوع ليتزودون فيها بما يحتاجون إليه في مختلف السلع والبضائع، من بينها سوق بني راشد، سوق ترنانة، سوق ريغة، سوق إبراهيم.

أما أسواق المدن: فكانت تنظيمها من أسواق البادية حيث نجد أن السوق<sup>1</sup> بالمدينة مرتبط باسم السلعة التي تغلب عليها أو العمل<sup>2</sup> الذي يتم فيه وقد أوضح هذا الونشريسي أن كل سوق يختص بنوع معين من السلع، فهناك أسواق للدقيق، وأخرى للزيت والبنز والغزل والعطارة والخضر واللحم<sup>3</sup>، وغير ذلك، وكان القصابون يقدمون أحيانا أحد الأشخاص للإشراف على ذبح ما يباع في سوقهم نظير أجر معين يدفعه له بائع اللحم في السوق، كما يذكر العقباني من الباعة والتجار والصناع بالأسواق من كان يلجأ إلى الغش والتدليس، ومن ثم كان يتعرض للعقوبة من جانب المحتسب وأصحاب السوق<sup>4</sup>، ومن بين هذه الأمثلة: أن يباع الخبز ناقص الوزن وقيام صاحب الفرن بخلط القمح وخلط العسل الجيد بالرديء، والزيت القديم بالجديد ومزج اللبن بالماء وقيام الجزائرين بخلط اللحم السمين بالمهزول.<sup>5</sup>

كما كانت ظاهرة احتكار السلع بالأسواق في المغرب فكان بعض التجار الجشعين يلجؤون إلى احتكار الطعام في السوق مما يؤدي على ارتفاع الأسعار والأضرار بالناس. ولذا كان المحتسب يأمر ببيع الطعام

<sup>1</sup> - السوق : هي اللغة التي يتعامل فيها، وسميت كذلك لأن التجارة إليها، والمبيعات نحوها، وعرفها ابن خلدون بقوله: "إعلم أن الأسواق كلها تشتمل على حاجة الناس، ومنها ضروري من الأقوات من الخنطة والشعير، وما في معناها ومن الحاجي والكمالي، ينظر إلى، مختار حساني: المرجع السابق، ج 2، ص 35.

<sup>2</sup> - مختار حساني: المرجع نفسه، ص 46.

<sup>3</sup> - الونشريسي: المصدر السابق، ج 10، ص 409.

<sup>4</sup> - يذكر الونشريسي أنه ينبغي للوالي أن يتحرى العدل وأن ينظر في أسواق رعيته، ويأمر أوثق الناس من يعرف ببلده أن يتعاهد السوق ويعير عليهم موازينهم ومكاييلهم، فمن وجد غير من ذلك شيئا عاقبه على قدر ما يرى من جرمه وافتياته على الوالي، وأخرجه من السوق حتى تظهر منه التوبة، ينظر إلى نفسه، ج 6، ص 427.

<sup>5</sup> - العقباني: المصدر السابق، ص 146.

لهم ويكون للمحتكر لهم ويكون للمحتكر رأس ماله أما الربح فيتصدق به على ذوي الحاجة أدبا له<sup>1</sup>.

بالنسبة إلى مراقبة الأسواق في الدولة الزيانية فكانت تعتمد على مراقبة المكايل والموازن، فقد كان الصاع القديم يعرف بالتشفين نسبة إلى أبي تاشفين الأول الذي فرض على تجار مكايل ومقاييس منها الصاع التاشيفيني والدرع التاشيفيني الذي لا يزال بمتحف تلمسان إلى اليوم.<sup>2</sup>

كما وقع اختلاف بين الفقهاء في عواصم الدول المغربية خاصة في تلمسان خلط اللحم بالطن والمصران، فنهى عنها العقباني وأجازها البرزلي خضوعا لما جارت به عادة تونس والقيروان التي يباع فيها اللحم مختلطا.<sup>3</sup>

إضافة إلى الأسواق فإنه كانت هناك مؤسسات شجعت على الحركة التجارية من دولة بني زيان كانت من بينها الفنادق والقيصرية.<sup>4</sup>

وقد أشار إليها الونشريسي في نازلة وقد ذكر أن الفندق مؤسسته اقتصادية كان ينزل بها التجار والزراع الغرباء من الحواضر والقرى للمبيت وتخزين السلع فيها<sup>5</sup>، ومن الفنادق نذكر: فندق البنادق، وفندق الجنوبين، وظهرت فنادق أخرى في المدن الزيانية مثل: فندق مرسيلىا بوهران.

<sup>1</sup> -العقباني: المصدر السابق، ص 154.

<sup>2</sup> - مختار حساني: المرجع السابق، ص ص 46-57.

<sup>3</sup> - العقباني: المصدر نفسه، ص 138.

<sup>4</sup> - القيصرية: كلمة يونانية أصلها قيصاريون بمعنى السوق الامبراطوري، مما يدل على أنها أطلقت بعد ذلك على الشارع التجاري في المدن، ينظر إلى مختار حساني: المرجع نفسه، ص 50.

<sup>5</sup> - الونشريسي: المصدر السابق: ج 6، ص 426.

ب-التجارة الخارجية:

كانت التجارة<sup>1</sup> في دولة بني عبد الواد نشطة مع دول مختلفة أهمها:

✓ بلاد السودان<sup>2</sup>: تمثلت السلع التي تم إرسالها من تلمسان إلى بلاد السودان،

المنتجات التلمسانية، الأسلحة بأنواعها، المصنوعات الزجاجية، العطور، كما كانت

تلمسان تستورد من السودان الرقيق والذهب والملح، والنحاس، ريش النعام.

✓ أما مع مالي: فقد ارتبطت تلمسان مع مالي علاقات تجارية مع ملوك مالي، فقد

ارتبط هلال القطلاي حاجب عبد الرحمن أبو تاشفين الأول بصداقة مع موسى ملك

مالي، ومما ساعد على هذا التبادل التجاري بين تلمسان ومالي، كما كان من التجار

التلمسانيين بمالي محمد الفقيه الجزولي وصهره الفقيه عبد الواحد المقرري والشيخ اللبان،

التلمساني.

✓ مع الممالك الأوربية: تمثلت هذه العلاقة في إصدار المنتجات الزراعية من القمح

والشعير والفواكه إضافة إلى العسل والزيت ... إلخ من المنتجات، أما السلع التي

تستوردها تلمسان فتمثلت في أنواع الأسلحة.

كما كانت هناك معاهدات واتفاقيات تجارية أهمها: معاهدة تلمسان مع مملكة الأراغون<sup>3</sup> سنة

684هـ، معاهدة تلمسان مع ميورقه سنة 861هـ. معاهدة تلمسان مع بيرينون وأراغون سنة

1262م، ومما يجدر ذكره فقد تأسست لذلك شركات خاصة، لا تقل أهمية عن الشركات التجارية

التي لدينا الآن من أهم هذه الأخيرة الشركة للإخوة المقرري التلمسانيين الذين قاموا بتنظيم المبادلات

<sup>1</sup> - التجارة: هي محاولة الكسب بتنمية المال وشراء السلع الرخص وبيعها بالغلاء أياما كانت السلعة، وذلك القدر النامي يسمى ربحا، ينظر إلى ابن خلدون: المقدمة، ج 2، ص 83.

<sup>2</sup> - بلاد السودان: تشمل غانا، تمبكتو، النيجر، ومالي، تشاد، ينظر إلى بسام كامل: المرجع السابق، ص 214.

<sup>3</sup> - الأراغون: تقع شمال شرق اسبانيا عاصمتها سرقوسه، فتحها المسلمون سنة 96هـ، ثم أصبحت تابعة لنفار في القرن التاسع ثم أصبحت مملكة بعد 426هـ، ينظر إلى بسام كامل: المرجع السابق، ص 216.

بين تلمسان والسودان، فقد رتب هؤلاء طريق الصحراء، بحفر الآبار وتوفير الأدلاء للتجار واتخذوا طبلا للرحيل وراية تقدم عند المسير<sup>1</sup>.

### 5- الأسعار:

ترتبط الأسعار بالسلع ونوعيتها والأسواق، وقد أرجع ابن خلدون قيمة الأسعار إلى أسباب فقال: "إذا استبحر المصر وكثر ساكنه رخصت أسعار الضروري وهي الأقوات والحنطة وما في معناها كالبقلاء والحمص والجلبانة وسائر حبوب الأقوات، وغلت أسعار الكمالي من الآدم والفواكه وما يتبعها<sup>2</sup>.

كما أن وضعية النشاط الاقتصادي في الأسواق أو ركودها وعلى قيمة المكوس المفروضة عليها، إضافة إلى الظروف السياسية كالحروب، والظواهر الطبيعية كالكوارث، ففي هذه الأحوال ترتفع الأسعار في ظل هذه الظروف، وسوف نأتي بذكر أسعار بعض الأنواع من الأغذية الحيوانات أثناء فترة الحصار، لكن بعد رفع الحصار انخفضت بشكل واضح، كما أن النوازل الفقهية أشارت على هذا خاصة في زمن المخمصة، بالإضافة إلى مشاركة حكام الدولة في ارتفاع الأسعار مرتبطة بقانون العرض والطلب.

وبما أن الأسعار قيمتها مسألة نسبية قد تزيد وتنقص نظرا للتغيرات المفاجئة والظروف المحيطة، فإن تحديدها يرجع إلى حرية التاجر لذا فإنها كانت خاضعة للمراقبة، خاصة أسواق تلمسان<sup>3</sup>.

### 6- تنظيم التجارة:

ارتبطت حركة البيع والشراء بين التجار المسلمين وبين المسحيين في إمارة بني عبد الواد، بالمكوسالتي كانت تفرض على البضائع عند بيعها.

<sup>1</sup> - لخضر عبدلي: المرجع السابق، ص 192.

<sup>2</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 2، ص 35.

<sup>3</sup> - حساني مختار، المرجع السابق، ص 60.

أما التي لا تباع فإن أصحابها لا يدفعون مكوسها، باستثناء الذهب والفضة الذين يدفع عنهما أصحابهما فور دخولهما على الإمارة مكوسا تقدر بخمسة في المائة من قيمتها، وقد اهتمت السلطات العليا لولاية بتنظيم هذه المكوس التي ساهمت بدرجة كبيرة في تمويل خزانة الدولة.<sup>1</sup>

فالسلع التي كانت تباع للسلطان مباشرة، والبضائع الإستراتيجية، والأدوات البحرية والأسلحة، وفي حالة المجاعة الحبوب، ومنها القمح والشعير، فقد أعفتها السلطات الحاكمة من الجباية.

وقد فرضت إلى جانب المكوس الثابتة، مكوس إضافية مثل مكوس الخدمات كالترجمة وقدرها 0,5 من البضائع، ومكوس الإرساء أو الملاحه، وهي خاصة بالمراكب، ومكوس أخرى لم تحدد قيمتها كان يقدرها موظف الديوان مع الاتفاق مع التجار، كمكوس الوزن والتخزين، وموظفو الديوان كانوا يتولون مختلف المكوس.

كما كانت عمليات البيع والشراء تتم في الغالب داخل مبنى الديوان، وأحيانا خارجه، بكل حرية إما بالمزايدة التي ينشطها سمسرة كل فئة بحضور الشهود، أو بالبيع العادي في حضور أو غياب الشهود، وفي حالة البيع العادي كانت تفرض ضريبة على السلع وتسجل عمليات البيع في سجلات الديوان وفي دفاتر القنصليات، وفي بعض الأحيان يتم البيع في الفنادق تحت إشراف مرتق مسيحي أو حاجب القنصل.<sup>2</sup>

### أ\_السكة والجباية:

أورد العمري أن: ضرب العملة في تلمسان بخصائصها ومواصفاتها كانت موجودة دون تحديد دار السكة، فوقع التفريق بين الدرهم القديم والدرهم الجديد من ناحية الوزن، فالقديم مغشوش بالنحاس، والجديد من خالص الفضة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - لطيفة بشاري: المرجع السابق، ص ص 176-177.

<sup>2</sup> - نفسه: ص 182.

<sup>3</sup> - كمال السيد: المرجع السابق، ص 81.

وقد لمح الونشريسي من خلال نوازله إلى ظاهرة غش العملة وهو أمر مشاع في بلاد المغرب في بعض فترات من العصر الإسلامي، كما زادت نسبة النحاس في الدراهم في جميع بلاد إفريقية في سنة 770هـ<sup>1</sup>، أما مثاقيل الذهب فلم تختلف أوزانها فمثقال ذهب يساوي درهما.

ب\_ الدرهم: كان وزنه الشرعي العشرة منه تزن سبعة مثاقيل من الذهب والأوقية منه أربعين درهما، وهو على ذلك سبعة أعشار 7/10 دينار، وقد كثر استعمال الدرهم أيام دولة بني زيان.

ج\_ المكاييل: فقد اختلفت في أسواق تلمسان منها: الصاع والمد البرشال<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - الونشريسي: المصدر السابق، ج 6، ص 448.

<sup>2</sup> لطيفة بشاري: المرجع السابق، ص 185.

## الفصل الثاني: أسباب حدوث المجاعات والأوبئة

أولاً: الأسباب الطبيعية

ثانياً: الأسباب البشرية

## الفصل الثاني: أسباب حدوث المجاعات والأوبئة

### 1\_ أسباب المجاعات

- تعتبر ظاهرتي المجاعات والابوئة وكأي ظاهرة مألوفة الحدوث نتيجة حرب أو أسباب أخرى، مما جعلها خطرا يهدد حياة الناس وهلاك الزرع<sup>1</sup> ، ورغم محاولة التصدي لها، إلا أنها كانت لها آثار وخيمة على اقتصاد البلاد ونفسية العباد، وفي البحث عن الأسباب المتجلية في حدوث هذه، فإن المؤرخين والمحدثين حاولوا رصد بعض منها، فمنهم من يرجعها للأسباب ربانية ويعتبرها إرادة الخالق عز وجل وإنما كان هذا عقابا منه لانحراف الناس عن الدين والإسراف في المعاصي.

و منهم من يرجعها إلى فعل الإنسان فهو المخلوق المتسبب في الحروب وهو ما ينتج عنها. أما ابن خلدون<sup>2</sup>، فقد أعطانا صورة واضحة عن أن في آخر عمر الدولة يقع الموتان وتكثر المجاعات و أرجع هذا إلى أسباب فقال: "أن أواخر الدولة يكون فيها الإجحاف بالرعايا وسوء الملكة، وإن حدث الإجحاف وقلت الجبايات فإنما يظهر أثره." أما عن سبب المجاعات فقال: "أما المجاعات: فليقبض الناس أيديهم عن الفلح في الأكثر بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الاموال والجبايات، أو الفتن الواقعة في انتفاض الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة، أو لأسباب فلكية، أو من الطبيعة.

أولا: الأسباب الطبيعية: تعددت هذه الأسباب فمنها مرتبط بالمناخ و آخر بالماء

### أ-المناخ:

لقد أمدنا الوزن صورة عامة عن المناخ بلاد البربر عموما وركز في هذا حول بدء فصول السنة وانتهائها، مشيرا إلى بعض الاضطرابات المناخية التي تحدث خلالها والتي قد تؤدي إلى حدوث مجاعات، فإن سقط المطر في فصل الربيع فإن محصول السنة سيتضرر بأكمله، كما أن هبوب الرياح الجنوبية القادمة من

<sup>1</sup> خالد بلعربي: المرجع السابق ، ص5.

<sup>2</sup> ابن خلدون: مقدمة، ج1، ص499.

الصحراء والتي تتسم بالحرارة الشديدة والجفاف غير في غير فصل الصيف من شأنها أن تفسد الغلابة، وإذا استمر هبوبها لمدة طويلة فإنها تؤدي إلى إتلاف المحاصيل الزراعية وحرقتها<sup>1</sup>.

ولقد سبقنا للذكر أن المناخ الذي يسود مدينة تلمسان فقلنا بأنه مرتبط ارتباطا وثيقا بموقعها، فمدينة تلمسان فهي تعرف مناخا مضطربا طيلة فصل الشتاء فهو شديد البرودة، أو دائم سقوط الثلوج والأمطار، والذي كان سببا في حبس الناس في مساكنهم ومنعهم من استمرار نشاطهم الفلاحي غير أن مناخ المغرب الأوسط عموما ذا تساقط قليل مع تفاوت في توزيعه الجغرافي إذ يندرج من المحيط غربا، إلى المناطق الداخلية و انتهاء إلى المناطق الشرقية، وهذا التفاوت بسبب الإمتداد العربي للتضاريس، وكذا اتجاه الكتل الهوائية فضلا عن القرب والبعد عن المسطحات المائية<sup>2</sup>، فالمناطق المطلة على المحيط تتلقى كميات معتبرة من التساقطات بسبب الكتل الهوائية الرطبة بينما يقل التساقط كلما اتجهنا نحو الداخل شرقا، كما تنقص أكثر كلما اتجهنا نحو الجنوب.

إن هذا التنوع الذي يعرفه مناخ المغرب الأوسط هو سبب الاضطراب الدائم، فالمناطق الساحلية خاضعة لتأثيرات مياه البحر الأبيض المتوسط الساخنة، ومياه المحيط الاطلسي الباردة والتي تعد من أهم المصادر للأعاصير والانخفاضات الجوية المنتقلة من الغرب إلى الشرق والمتحكمة في نزول الامطار إلى حد بعيد، أما تأثيرات اليابس على المنطقة الساحلية فتتجلى في الرياح الجنوبية ورياح السهوب والصحراء.

فالعامل المناخي له علاقة مباشرة في حدوث كوارث قد تؤدي في بعض الاحيان إلى مجاعة أو وباء، والمغرب الاوسط عرف مثل هذه الجوائح كان سببها بالدرجة الاولى تقلب المناخ واختلفت من حيث طبيعتها<sup>3</sup> ومنها:

<sup>1</sup> الوزان: المصدر السابق، ج1، ص ص71,81 .

<sup>2</sup> وسيلة علوش : الثورة المائية في ريف المغرب الاوسط خريطتها، منشأها. استغلالها من القرن 1هـ إلى نهاية القرن6هـ، رسالة مكاملة لنيل الماجستير، جامعة قسنطينة، 2012/ 2013، ص19.

<sup>3</sup> علي عبد القادر: حليمي مدينة الجزائر، نشأها وتطورها قبل سنة 1830م ط1، الجزائر، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، 1972م، ص65.

ب- الجوائح:

شهد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة كوارث طبيعية، حيث يذكر روض القرطاس "وفي سنة سبع عشر كان الغلاء الشديد بالمغرب والقحط والجراد"<sup>1</sup>.

بالإضافة الجفاف الذي كان ينجم عن عدم التساقط في الموعد المحدد والذي كان يؤدي في بعض الاحيان إلى مجاعة كما حدث في سنة 303هـ<sup>2</sup>.

وفي سنة 723هـ كان في تلمسان قحط شديد حيث خرج أمير المسلمين أبو سعيد عثمان إلى إقامة سنة الاستسقاء.<sup>3</sup>

و الغالب على الظن أن السماء لم تمطر حيث تفاقم القحط وارتفع السعر وبدأت المجاعة التي اشتدت في السنتين التاليتين.

وفي سنة 724هـ وصدر من سنة خمس وعشرين كانت المجاعة بالمغرب وارتفع السعر في جميع بلاد المغرب وغلت الاسعار في جميع الامصار.

ج -القحط: كما تعرضت بلاد المغرب على مر السنين إلى القحط ولقد زار العبدري مدينة تلمسان في سنة 688هـ ووصف لنا حالها في قوله: "ثم وصلنا إلى مدينة تلمسان فوجدناها بلد أحلت به زمانة الزمان وأخلت به حوادث الحدثان فلم تبق به علالة ولا تبصر به للظمئان بلالة"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابي زرع الفاسي : المصدر السابق ، ص ص 354,359.

<sup>2</sup> خالد بلعربي: المرجع السابق، ص2.

<sup>3</sup> عبد الهادي البياض: الكوارث الطبيعية وأثرها في ذهنيات الانسان في المغرب والاندلس (من ق 6-8هـ/ من 12-14 م) ط1دار الطليعة، بيروت، ص34.

<sup>4</sup> نفسه ، ص31.

<sup>5</sup> العبدري: المرجع السابق، ص26.

كما عرفت سنة 692هـ بالمغرب قحط وقد عبر عنه ابن خلدون في قوله: " وكان قد أصاب الناس أعوام اثنين وتسعين وستمائة وما بعدها قحط<sup>1</sup> ".

كما كانت العواصف الباردة القوية التي كانت تحدث في فصل الشتاء، كما شهدت نزول الثلوج وقد عبر عنها ابن مريم " نزلت ثلجة عظيمة"<sup>2</sup>، وقد ذكر ابن مرزوق ان مدينة تلمسان كانت أشد بلاد المغرب الاوسط بردا أو ثلجا وقد تسببت هذه في إحداث مجاعة عظيمة في سنة 776هـ وقد عبر عنها ابن خلدون وعاشها<sup>3</sup>.

د – أما الرياح فإن المغرب الاوسط اجتاحتها أنواع عديدة منها عادة ما تكون هذه الرياح تتسبب في إتلاف المزروعات منها الرياح الجنوبية، أما الرياح الشرقية فكانت يصاحبها القحط<sup>4</sup>.

#### هـ – الجراد:

يعد من أخطار الآفات التي عانت منها بلاد المغرب لأنه يصيب الزرع والمحاصيل بشكل مباشر فيتلفها، وقد أخبرنا صاحب الذخيرة عن حالة البلاد فقال: " وفي سنة أربع وعشرين و ستمائة اشتد الغلاء بالمغرب والاندلس ، وفيها كان الجراد منتشرا ."<sup>5</sup>

وفي روض القرطاس قال: " وفي سنة تسع وسبعين توفي زيان بن عبد القوي وكان فيها الجراد في بلاد المغرب و أكل جميع زروعها فلم يترك منها مخضرا."<sup>6</sup>

<sup>1</sup> ابن خلدون:المصدر السابق، ص290.

<sup>2</sup> مزدور: المرجع السابق، ص115.

<sup>3</sup> خالد العربي: المرجع السابق، ص 3.

<sup>4</sup> مزدور: المرجع نفسه، ص117.

<sup>5</sup> البياض: المرجع السابق، ص 63.

<sup>6</sup> ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص 279.

ولقد عاود الجراد سنة 630هـ، فعمت المجاعة بسببه فانعدمت الاقوات، ونقصت الغلات، وقلت مردودية الارض على حد تعبير بعض المحدثين، وذهب معظم الانتاج وتضرر الانسان والحيوان.<sup>1</sup>

- أما السيول فلم تكن تسبب مشاكل كبيرة إلا أنها قد تؤثر على اقتصاد البلاد بالإضافة الى بعض المتعاملين نذكر منها على سبيل المثال: السيل الذي وقع سنة 758هـ وقد حطم محلة أبي عنان المريني وأدى إلى تعطيل حركته إلى افريقية.<sup>2</sup>

## 2\_ أسباب حدوث الأوبئة:

أما بالحديث عن هذه الاسباب فقد أورد لنا ابن خلدون أن أسباب الموتان يرتبط ارتباطا وثيقا بكثرة المجاعات، وأضاف أخرى فقال: "وأما كثرة الموتان فلها أسباب من كثرة المجاعات أو كثرة الفتن لاختلال الدولة فيكثر الهرج والقتل أو وقوع الوباء.

### أ- الهواء:

وأرجع سبب وقوع الوباء إلى فساد الهواء وقد بين في قوله: "وإذا فسد الهواء، وهو غذاء الروح الحيواني وملايسة دائما فيسرى الفساد إلى مزاجه، فاذا كان الفساد قويا وقع المرض في الرئة، وهذه هي الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة وإذا كان الفساد دون القوة والكثير فيكث العفن ويتضاعف، فتكثر الحميات في الامزجة وتمرض الاجدان وتهلك".<sup>3</sup>

### ب - كثرة العفن و الرطوبات الفاسدة:

والذي أرجعه إلى كثرة العمران ووفوره آخر الدولة الذي يذهب بفساد الهواء، ومخالطة الحيوانات الذي ينتج ما سماه بالعفن ولقد أشار العقباني أن تلمسان خاصة كانت تعج بالأزبال وجيف الحيوانات فضلا عن

<sup>1</sup> فيلاي: المرجع السابق، ج1، ص126.

<sup>2</sup> ابن الحاج النميري: فيض العباب وإفاضة قدام الآداب، في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تح: محمد شقرون، ط1، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ص ص 258 ، 259.

<sup>3</sup> ابن خلدون: المصدر السابق، ص499.

الرخاصات التي تخرج من القنوات وطين المطر المجتمع في الشوارع، اضافة ما كان يقوم به الخرازون بتلمسان حيث كانوا يسطون جلود البقر في الطريق<sup>1</sup>.

ج/ الماء:

بالإضافة إلى عامل الماء الذي هو أساس وجود كل كائن حي فإن فسد الماء، فإنه : يهلك وتمرض لا محالة، وفي هذا قد ذكر ابن مرزوق أن سبب الامراض الخطيرة التي أصابت الحجاج هو شربهم لمياه فاسدة أدت إلى مرض الكثير منهم وأكثر هذه الامراض أمراض البطن<sup>2</sup>.

د/التغيرات المناخية:

يمكن القول أنه بالحديث عن أن ضمن أسباب حدوث الأوبئة يوجد فساد الهواء، وفساد الماء، إلا أننا لا يمكن أن ننس أن المناخ هو الاساس فهو متحكم بالهواء والماء نظرا لتنوعه فالانعكاسات السلبية لتغير المناخ لا تقتصر فقط على الكوارث كالفحط، والجفاف، والثلوج، وإنما أيضا تتسبب في حدوث أوبئة منها الفتاكة التي تهدد حياة الناس في العصور الوسطى فمثلا تغير فصول السنة قد يؤدي إلى حدوث أمراض، كأن يكون فصل الربيع باردا، والخريف يكون على طبيعة الربيع، والشتاء يكون في بعض الاحيان على طبيعة الصيف، بالإضافة إلى تذبذب في تساقط الامطار قد يؤدي إلى حدوث الفحط وبطبيعة الحال يتغير الهواء وقد تظهر أمراض كالرمد، وأنواع من السعال كالبحح، وانبعاث الدم من المعدة.

- وعموما فإن الامراض الوبائية والطواعين تكثر في أواخر فصل الصيف والخريف أكثر بسبب كثرة اجتماع الفضلات المرارية الحادة وغيرها في فصل الصيف وعدم تحللها في آخره.

<sup>1</sup> أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد المكنى بالعقباني: تحفة الناظر وفنية الذاكر في حفظ الشعائر والمناكر، تح : على الشنوفي ، ص92.

<sup>2</sup> مزدور سمية : المرجع السابق ، ص120.

- ويمتاز صيف البحر الابيض المتوسط بكثرة وقوع الاوبئة والامراض لذا فإن سكان المدن الساحلية هم الاكثر عرضة للأمراض<sup>1</sup>.

وسوف ننبه هنا إلى ندرة الماء المشروب خاصة في أوقات المجاعات والأزمات والذي يجتم على الناس شرب المياه الفاسدة فيها الراكدة في أكبر مما قد يؤدي إلى أمراض لهذا فإننا نجد معظم الامراض تكثر في أوقات الكوارث.<sup>2</sup>

### ثانيا: الأسباب البشرية

#### 1- الضرائب :

شكلت الضرائب والمكوس والرسوم موردا اقتصاديا مهما للدولة الزيانية الناشئة خاصة في عهدها الأولى، وبقدر ما كانت تلك الضرائب والمكوس تساعد الدولة على تحمل عبء المصاريف والنفقات العامة بقدر ما شكلت عبأ على سكان الذين كانوا يعانون من الفقر والعوز خاصة صغار التجار وأصحاب الحرف والمهن متوسطي الحال .

ويمكن تقسيم الضرائب الى قسمين أساسيين القسم الأول الضرائب التي تجمعها الدولة بالصورة القانونية والتي كان على السكان دفعها لخزينة الدولة مقابل تقديم خدمات او تسهيلات لهم ، أما القسم الثاني، فهي تلك الضرائب الغير قانونية تفرضها القبائل المتمردة على السلطة المركزية هي ضرائب غي قانونية تفرضها تلك القبائل نتيجة لظروف سياسية أو اقتصادية قاهرة.

وتمثل النوع الأول من الضرائب والمكوس في أن الدولة الزيانية فرضت المكوس على السلع المتداولة في الأسواق المحلية والمراكز التجارية في المدن وعلى تلك البضائع المنقولة من وإلى أقاليم المملكة وتلك

<sup>1</sup> سمية مزدور: المرجع السابق، ص121.

<sup>2</sup> فرناند بروديل: المتوسط والعالم المتوسطي، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والطباعة، ط1، 1413هـ / 1993م، بيروت/ لبنان، ص67.

المكوس<sup>1</sup> تدفع مقابل خدمات تقدمها المملكة لتجار ، وللحصول على تلك الجبايات وضعت المملكة مفتشين على أبواب المدن لذا سميت مكى الباب ، وعلى سبيل المثال فعلى باب كشوط يتم استيفاء الرسوم الخارجين أو القادمين من ناحية تازا ثم الى بلاد المغرب الأقصى أما باب القرمدين فيتم جباية الضرائب من القادمين او المتجهين ناحية وهران وهنين ، اما باب ايجاد تجبي المكوس من القادمين او المتجهين ناحية المناطق الشرقية الجنوبية واما باب العقبة فيتم فيه دفع المكوس من القادمين من وهران<sup>2</sup> ولم يقتصر هذا التنظيم على تلمسان المدينة وحدها بل سرى هذا على كل المدن في المملكة خاصة الساحلية منها كتنس ، وهران وهنين وبرشك ومستغانم ، كما وجد في الأسواق المكاسون وهم موظفون تابعون لدولة يستخلصون<sup>3</sup> تلك الضرائب من التجار على السلع المعروضة للبيع. من دفع المكوس منها الحبوب والخطب ، كما فرضت المملكة الزيانية الضرائب والمكوس على القبائل العربية والبربري وخاصة تلك التي تمارس التجارة مثل بني عامر وبني راشد القاطنين في ضواحي وهران<sup>4</sup>، الا ان بعض الفقهاء<sup>5</sup> ، كانوا يعارضون فرض هذه الضرائب والمكوس ويرون بان لا مبرر لها واعتبروها نوعا من انواع الظلم والبدع وان الدين الاسلامي حرمها، لذا فقد افتى بعض هؤلاء العلماء بأنه لا يجوز ان يأخذ القاضي مرتبه من تلك المكوس وهذه المعارضة جعل بعض سلاطين المغرب يحاولون اضعاف الشرعية عليها وذلك باطلاق اسم عامل الزكاة على جباة الضرائب ومستخلصي المكوس.

<sup>1</sup> المكوس : جمع مكس وهي الضريبة التي تؤخذ في الأسواق ،وقيل انها العشر وقال اخرون انها نوع من الرشوة والإسلال أي السرقة وهي مبلغ من المال ياخذه المكاس من التجار والباعة وأصحاب السلع ممن يدخلون الأسواق ، ويعرف فيما بعد يأخذه أعوان الدولة والسلطان ظلما عند اتمام عملية البيع والشراء ، ينظر: ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهيل بن سعيد بن يحيى العسكري : الفروق اللغوية ، تح : محمد ابراهيم سليم ، ط1 ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ، د ، ت ص 173.

<sup>2</sup> حساني مختار: المرجع السابق، ج2 ، ص 113.

<sup>3</sup> ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ط1 ، دار الرشاد ، الدار البيضاء ، ج2 ، 2000 م ، ص 119.

<sup>4</sup> مختار حساني: المرجع نفسه ، ص 161.

<sup>5</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج2 ، ص 42 .

وإثناء السيطرة المرينية (737-747هـ/1336-1346م) على مملكة تلمسان ابطل المرينيون الكثير من تلك الضرائب المفروضة على الدكاكين والمحلات مقابل تقديم الخدمات وهذا الأمر أدى الى تحسين الاوضاع المعيشية للسكان خاصة في المدن الكبرى<sup>1</sup>.

وسيطرة بعض القبائل العربية المستقرة في بلاد المغرب الاوسط بصفة عامة وفي الأراضي مملكة تلمسان بصفة خاصة مثل قبيلة زغبة وقبائل عبيد الله، على المنطقة بين تلمسان والبحر، وعلى المنطقة من تلمسان الى وادي ملوية غربا ، وفرضت المكوس والضرائب على التجار والمسافرين، وتقوم بمهاجمة القوافل التجارية والسيطرة على مياه الابار، وشكلت خطرا حقيقيا على التجارة في المملكة حينما سيطرت تلك القبائل على ضواحي وارياف تلمسان والعاصمة<sup>2</sup>.

كما لجأت قبائل توجين ، مغراوة ، وملكيش الى اقامة امارات على الطرق الرابطة بين تلمسان وبعض المناطق الأخرى وخاصة الشمالية منها ، واتخذتها منطلقا لمهاجمة التجار والمسافرين وقطع الطرق والسطو والسرق وهذا ما دفع أملاء بني زيان لشن حملات تأديبية على تلك القبائل فدخلوا في حروب كبيرة ، كما سيطرة قبيلة بنو عامر على المنطقة الممتدة من منطقة تسالة الى جبل هيدور ووهران وفرضوا الضرائب على المسافرين عبر تلك الطرق ، وقبيلة بني منصور سيطرة على المنطقة من وجدة غربا الى ندرومة بالقرب من تلمسان شرقا حتى اضرت المملكة الزيانية الى منح تلك المناطق كاقطاعيات لتلك القبائل الأمر الذي أتاح لها فرض الرسوم على المارين بين وهران وتلمسان<sup>3</sup> ، كما وضعت المملكة نظاما لتفتيش استعانت فيه بالنساء اللواتي يقمن بتهرب السلع والبضائع دون دفع الضرائب المستحقة ، وكانت اغلبهن من اصل يهودي كما اهتمت الحكومة الزيانية بتواجد موظفي التخليص والرقابة الجمركية من الرجال والنساء على حدسوى حتى يتسنى لها ضمان مراقبة دقيقة ومتابعة جيدة للبضائع والحد من ظاهرة التهريب الجمركي التي يلجأ لها بعض التجار وضبط المتهربين وضمان ايراد جيد للمملكة مقابل

<sup>1</sup> الوزان: المصدر السابق ، ج 2 ، 22

<sup>2</sup> ابن خلدون: العبر، ج 7 ، ص 104 .

<sup>3</sup> مختار حساني: المرجع السابق، ص 103.

مزاولة التجار لهذا النشاط الاقتصادي الهام ، وكان يشتغل في مصلحة الجمارك عددا من الموظفين يساعدهم عددا من المترجمين وكان للرسوم الجمركية مردودا اقتصاديا لمملكة تلمسان فواردات ميناء تصل الى ثلاث الاف دينار (3000دج) من التجار اليهود والجنوبيين في الرحل التجارية الواحدة .

ومن هنا نقول ان الضرائب والرسوم الجمركية والمكوس في الدولة الزيانية تعددت وتنوعت سوى من ناحية أنواعها أو الجهات التي كانت تفرض تلك الضرائب ، وهذا يؤدي الى ارتفاع الأسعار للكثير من السلع والبضائع الأمر الذي يؤثر مباشرة على التجار الصغار والمستهلكين وربما يساهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بفقدان السلع والبضائع وربما يؤدي الى حدوث المجاعات بين السكان خاصة في الأرياف وضواحي بين السكان خاصة في الأرياف وضواحي المدن كمأن كثيرة الضرائب التي تفرض على التجارة والتجار قد تؤدي الى فقدان السلع والبضائع من الأسواق وهذا يؤدي الى عدم الحصول على المواد الغذائية أو صعوبة حصول عليها مما يؤدي الى استفحال المجاعات وانتشار الجوع بين السكان خاصة في المناطق الفقيرة التي لا توجد بها منتجات زراعية تكفي لاستهلاك سكانها .

## 2/ الحروب :

تمثلت هذه الأسباب في جملة من الأحداث التاريخية التي عاشتها الدولة في مراحل عمرها، و التي اعتبرت العامل الأكبر في حدوث مجاعات أنهكت السكان و أثرت على اقتصاد الدولة ومن بينها :

### الصراع المريني الزياني : أسبابه :

عرفت الدولة الزيانية علاقات ليست بالجييدة على الدولة المرينية تميزت بالتصادم العسكري و الصراع السياسي ، كان لهذا الصراع المستمر أسباب ظاهرة و باطنية ، ربما لجوار بعضهما و التنافس على الزعامة و النفوذ من أجل تحقيق سيطرة سياسية و اقتصادية في الوسط القبلي و الجغرافي ، وكانت الغلبة دائما لبني بادين لكثرة شعوبهم و منهم بنو عبد الواد مما ولد نفسية في الأجيال المتوارثة تحمل العداء الدائم لهم .

إضافة إلى هذا العامل :

-تحرش بني عبد الواد ببني مرين : واتخاذهم موقفا منهم يقضي بمنعهم من إقامة الكيان السياسي لهم وهو ما يفسر عقد يغمراسن بوزيان تحالفات مستمرة مع القبائل المناوئة لهم كالموحدين وبني الأحمر بالأندلس

-إحتكار الدولة الزيانية للطرق التجارية بفضل الموقع الاستراتيجي لمدينة تلمسان ، كما أنه أحد الأسباب القوية في محاولات المتكررة لاحتلالها

-رغبة بني مرين بتوحيد المغرب تحت رايتهم كون تلمسان عاصمة المغرب الأوسط.<sup>1</sup>

وقد تميز هذا الصراع بالغلبة لبني مرين تارة، ولبني زيان تارة أخرى فكان أول صراع في سنة 647هـ/1249م حدث في وادي ايسلي إنهمز فيها بنو عبد الواد إذ قال ابن خلدون : لما هلك الخليفة الموحي السعيد وأسف بنو مرين إلى ملك المغرب، سما ليغمرامسن أمل في مزاحمتهم، وكان أهل فاس بعد تغلب أبي يحيى بن عبدالحق عليهم قد نعموا على سوء السيرة، و تمشت رجالاتهم في اللياذ بطاعة الخليفة الموحي، وأعد ابو يحيى السير إلى منازلهم فحاصرهم شهورا وفي أثناء هذا الحصار اتصلت به المخاطبة بين الخليفة المرتضى و يغمراسن بن زيان في الاخذ بحجرة أبي يحيى بن عبدالحق عن فاس، فأجاب يغمراسن بن زيان داعيه، واستنفر إخوانه من زناته، فنفر معه عبد القويين عطية بقومه من بني توجين وكافة القبائل من زناته، و نهضوا جميعا إلى المغرب.

وكانت الغلبة لبني مرين ثانية على يغمراسن وهذا سنة 655هـ/1257م في هجوم أبو يحيى بن عبدالحق على الاراضي الزيانية في وجدة.

وفي سنة (657هـ/1259م) قام يغمراسن بالهجوم على بني مرين بعد وفاة أبي يحيى بن عبد الحق (656هـ). فالتقى بأبي يوسف يعقوب المريني في منطقة اسمها "جلدمان" في معركة انسحب فيها بنو عبد الواد.

<sup>1</sup> عبد العزيز محمود لعرج : مدينة المنصورة المرينية بتلمسان: دراسة تاريخية أثرية في عمارتها وعمارتها وفنونها، ج1، مكتبة الزهراء ، الشرق ، ط 1 ، 2006، ص. 22.

وبعد سلسلة من الأحداث المتوالية بين يغمراسن وبني مرين وبعد وفاة يغمراسن<sup>1</sup> في (681هـ/1282م) خلفه عثمان بعد أن أوصاه أباه بعدم التعرض لبني مرين وعقد الصلح معهم، فحاول هذا الأخير و لكن دون جدوى فتنفرغ أبو سعيد عثمان لمهاجمة المناطق الشرقية<sup>2</sup> والاستيلاء عليها على يد مغراوة وتوجين الحليفتين لبني مرين<sup>3</sup>.

- أبو سعيد على معاقلها ورعاياها، وسائر ضواحيها إلى تخزين ما لديهم من أقوات والامتناع عن عرضها في الاسواق الشيء الذي كان يصعد من موجة الغلاء.<sup>4</sup>

### ب- الحملات المرينية وحصار تلمسان

كان هذا الحصار نتيجة حملات متكررة أنهكت البلاد والعباد للسيطرة على تلمسان من قبل المرينيين ويرجع أبي زرع الفاسي سببه في قوله "ان أصل حصار تلمسان وفناء بني عبد الواد أن ابن عطو لما فعل ما فعل وفر إلى عثمان بن يغمراسن ملكها فكتب إليه أمير المسلمين أبو يعقوب أن يسلمه فامتنع من ذلك فغزاه بسببه ولم تزل العداوة تتركب بينهما إلى أن غزاه ثانية في شهر رجب من سنة سبع وتسعين<sup>5</sup>."

<sup>1</sup> - كانت مدة حكم يغمراسن بن زيان كما تقدم من سنة 633هـ/1236م إلى سنة 681هـ/1283م فطال حكمه إذن 48 سنة وليس 44 سنة، ينظر إلى التنسي: المصدر السابق، ص 139.

<sup>2</sup> - قام أبوسعيد بعد توليه الحكم من سنة (681هـ/1283م) بعدة تحركات شرق المملكة لإخضاع القبائل الثائرة عليه. فمما قال عنها ابن خلدون فاستولى على سائر عمل مغراوة كما استولى على عمل توجين. فانظم بلاد المغرب الاوسط كلها وبلاد زناتة الاولى، للمزيد من المعلومات ينظر الى ابن خلدون: العبر، ج7، ص 125.

<sup>3</sup> - عبد العزيز محمود لعرج: المرجع السابق، ص ص25,24.

<sup>4</sup> ما ذكر أن السلطان أبا زيان مات أيام الحصار، وأن موت يوسف بن يعقوب كان في أيام الملك أبي حمو، فقد ورد نص صاحب "درر الغرر" كما يقول التنسي فهو أقعد بالقضية إذا كان حاضرا للحصار المذكور. وهو خلاف ما زعمه صاحب بغية الرواد أن موت يوسف بن يعقوب كلن أيام السلطان أبي زيان، ينظر إلى التنسي: المصدر نفسه، ص 145.

<sup>5</sup> الشيخ أبي الحسن علي بن عبدالله ابن أبي زرع الفاسي: الانيس المطرب وفي القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تع، تر: كارل بوحسن نورنبرغ. دار الطباعة المدرسية. أو بسالة، ج2، ص 267.

أما ابن خلدون فيصف هذه الأحداث قائلاً " أنه لما هلك يعقوب ابن عبدالحق سلطان بني مرين على السلم المنعقد بينه وبين بني عبد الواد لشغله بالجهاد وقام الامر من بعده في إبنه يوسف...." \_  
وفي سنة 689هـ توجه يوسف بن يعقوب إلى تلمسان فنازلها صباحا ولان منة عثمان بالفرار فقطع شجرها ونصب عليها المناجيق والآلات ثم أحسن بامتناعها فافرج عنها وانفك راجعا.  
\_وكانت في سنة 695هـ نهض يوسف بن يعقوب إلى حركته الثانية فنزل ندرومة ثم فر راجعا إلى المغرب.

\_ثم كانت الحملة الثانية سنة 696هـ. وفي هذه السنة أحاط بمعسكره وشرعوا في البناء، ولكنه أفرج عنها لثلاثة أشهر.

\_وفي سنة 689هـ كان الحصار الأعظم والذي كان الأطول وقد دام ثماني سنين وأشهر وقد وصفه ابن خلدون فقال " فأناخوا بها في شعبان سنة ثمان وتسعين وستمائة وأحاط العسكر بها من جميع جهاتها، وضرب يوسف بن يعقوب عليها سياجا من الاسوار المحيطة بها وفتح فيه أبوابا مداخل الحربها، و اختط لنزله إلى جانب الأسوار مدينة سماها المنصورة، وأقام على ذلك سنين يغاديهما القتال ويراوحتها.<sup>1</sup>

### أحداث الحصار الطويل 698هـ:

كانت تلمسان الزيانية قد عايشت الحصار في عهد أبي سعيد عثمان بن يغمراسن لما أناخ يوسف بن يعقوب بعساكره عليها. إنحجز بها عثمان وقومه كما يقول "ابن خلدون " واستسلموا للحصار الذي أخذ بمخنتهم، بعد خمسة سنين من حصارهم توفي عثمان في سنة ثلاث وسبعمائة<sup>2</sup>، وتولى الحكم ابنه أبو زيان محمد<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن خلدون: العبر، ج 7، ص 125.

<sup>2</sup> يقول عبد الرحمان ابن خلدون : "أخبرني شيخنا العلامة محمد بن ابراهيم الأبلي وكان في حياة قهرمان دراهم (أي بني زيان) قال: هلك عثمان بن يغمراسن بالديماس وكان قد اعد لشربه لبنا، فلما أخذ منه الديماس وعطش دعا بالقدح وشرب اللبن ونام، فلم يكن بأوشك أن فاضت نفسه وكنا نرى معشر الضائع أنه راف فيه السم تفاديا من معرفة غلب عدوه اياهم" ينظر الى نفسه ، ص 127.

<sup>3</sup> بويغ أبي زيان ابن السلطان أبي سعيد الحكم يوم الأحد ثاني شهر ذي القعدة سنة ثلاث وسبعمائة ينظر إلى يحيى بن خلدون:

المصدر السابق، ج1، ص.210

غير أنه لم تطل به أيامه أثناء الحصار لمرض اعتراه لم يطل فيه مقامه<sup>1</sup>، فتولى بعده أخوه أبي حمو موسى الاول سنة سبع وسبعمائة<sup>2</sup>.

وكان الحصار لا يزال قائما على أهل تلمسان وقد وصفه ابن خلدون في قوله " واستمر حصاره إياهم إلى ثمانية سنين وثلاثة أشهر من يوم نزوله، نالهم فيها من الجهد ما لم تنله أمة من الامم،"<sup>3</sup>

أما يحيى ابن خلدون فنجد وصفه لم يختلف مع أخوه إذ قال: فكانت مدة هذا الحصار الأكبر والخطب الشديد ثماني سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام."<sup>4</sup>

واستفحل ملك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارها، واتسعت خطة مدينة المنصورة المشيدة عليها، ورحل إليها التجار بالبضائع من الافاق، واستجدت في العمران بما لم تبلغه مدينة، وخطب الملوك سلمه ووده، ووفدت عليه رسل الموحدین وهداياهم من تونس وبجاية وكذلك رسل صاحب مصر والشام وهديتهم.

واعترز اعتزازا لا كفاءة له وهلك الجند حامية بني يغمراسن وقبيلتهم وأشرفوا على الهلاك.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> تولى ابن حمو موسى الأول الحكم سنة 707هـ/1308م إلى سنة 718هـ/1318م ويبيع يوم الاحد الحادي والعشرين لشوال للمزيد ينظر إلى يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ص212.

<sup>2</sup> اختلف ابن خلدون وأخوه يحيى الذين عاشوا الفترة الزيانية في تاريخ وفاة أبي زيان فقال يحيى ابن خلدون انه: " توفي صبيحة الاحد الحادي و العشرين لشهر شوال من السنة فكان عمره ثمانين وأربعين سنة وملكه اربع سنين عير سبع أيام "، ينظر الى نفسه، أما عبد الرحمان فقال: " انه هلك أخريات شوال من سنة سبع وسبعمائة بمرض". ينظر الى، ابن خلدون: المصدر نفسه، ص130.

<sup>3</sup> ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 128 .

<sup>4</sup> يحيى ابن خلدون: ج1، ص.211.

<sup>5</sup> ابن خلدون: المصدر نفسه، ص128 .

## الفصل الثالث: المجاعات والأوبئة في تلمسان

ونتائجها

أولا : المجاعات

ثانيا: الأوبئة

ثالثا: النتائج

الفصل الثالث: المجاعات و الأوبئة في تلمسان الزبانية

أولاً: المجاعات

1-مجاعة 698 هـ -706 / 1299 هـ -1306 م

- ان الحصارات التي فرضها المرينيون على تلمسان كانت سببا مباشرا في ظهور مجاعة عانى منها أهل تلمسان و يعتبر ابن خلدون الذي عاش هذه الفترة اذا تحدث عن هذه المجاعة فقال : " و استمرّ حصاره اياهم الى ثمانية سنين و ثلاثة أشهر من يوم نزوله ، نالهم بها من الجهد ما لم ينله أمة من الأمم ، و اضطروا الى أكل الجيف و القطوط و الفئران ، حتى أنهم نعموا أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الناس ، و خربو السقف للوقود و غلت أسعار الأقوات و الحبوب و سائر المرافق بما تجاوز حدود العوائد ، و عجز وجدهم عنه فكان ثمن مكيال القمح الذي يسمونه البرشالة و يتبايعون به مقدار اثنا عشر رطلا من البقر ستين مثقالا ، و من الضأن سبعة مثاقيل و نصفاً ، و اثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال و الحمير بثمان المثقال ، و من الخيل بعشرة دراهم صغار من سكتهم ، تكون عشر المثقال و الرطل من الجلد البقري ميتة أو مذكر بتلاثين درهما ، و الهر الداجن بمثقال و نصف ، و الكلب بمثله و الفأر بعشرة دراهم و الحية بمثله و الدجاجة بتلاثين درهما ،<sup>1</sup>

- وقد سبق و ان جئنا على ذكر هذا لأن ابن خلدون يذكر عن الحصار ما ذكر في المجاعة اذ أن أخوه يحيى لا يختلف معه القول في وصفه لهذه على حسب ما أورده في البغية فنجد أنه قال : " كانت مدة هذا الحصار الأكبر و الخطب الشديد ثمان سنين و ثلاثة اشهر و خمسة أيام التي بلغ فيها عدد موتى أهل تلمسان قتلا و جوعا زهاء مائة ألف و عشرون ألفاً<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ابن خلدون: المصدر السابق: العبر ، ج 7 ، ص 128.

<sup>2</sup> يحيى ابن خلدون : المصدر السابق، ج 1 ، ص 211 .

في حين أبي زرع الفاسي قد ذكر أن في سنة ثلاثة و سبعين كانت المجاعة الشديدة بالمغرب و الوباء العظيم فكان الموتى يحملون أربعة و ثلاثة و اثنين على مغسل " على حدّ تعبيره .

وفي سنة ثمان و تسعين و ستة مائة نزلها أبو يعقوب مدينة تلمسان في شهر شعبان من السنة المذكورة ، وكان نزوله عليها يوم الثلاثاء وقت السحر فملك ندرومة و هنين ، ووهران .

ثم يقول : " و أضعف أهل تلمسان حتى أشرفوا على الهلاك " ، فيما نرى ان الوزن قد وصفها في قوله : " و دام الحصار سبع سنوات ، و استفحل الغلاء الى أن بلغ ثمن الكيلو من القمح ثلاثين مثقالا و سكوروزو من الملح ثلاثة مثاقيل و رطل اللحم ربع مثقال ، فلم يطيق السكان تحمل مثل هذه المجاعة " <sup>1</sup> ، و رغم أن هذه المجاعة دامت لسنين و كانت عظيمة على أهل تلمسان الا أنه يتبعها وباء لانه من المعقول أن كل مجاعة يتبعها وباء لكن المصادر لم تذكر لنا شيء من هذا ، ربما نتيجة لطبيعة المنطقة و مدى قابليتها للأوبئة فتلمسان كما ذكرنا موقعا في وسط بين البر و البحر فهي أقل عرضة من المناطق الأخرى .

**2- مجاعة 776 هـ / 1364 م** :عرفت هذه السنة في آخرها كما يقول يحيى ابن خلدون "مجاعة شديدة ، أكل فيها بعض الناس بعضا لريح ذات اعصار ، أهلكت زرع صانعها و حيواناتها فافتقر الناس الى ما عند الخليفة فتصدق بنصف جباية حضرته الكريمة ، كل يوم على ضعفائها. <sup>2</sup>

ولم تكن هذه المجاعة تقتصر على تلمسان فقط ، فقد ذكر ابن القاضي أنه في عام 774 هـ ، بدأ لجوع و الغلاء والموت بمصر والعراق و الشام حتى أن المقرئى قد وصف هذا الوضع بمصر سنة 776 فقال " فكثر موت الفقراء و المساكين بالجوع ، و تعود أسباب هذه المجاعة الى اضطراب الأحوال المناخية كما ذكرها بن خلدون أنفا ، ويمكن على حد تعبير المؤرخين أن للحروب أيضا سببا مباشرا في ظهور هذه المجاعة فقد كان أبي حمو موسى الثاني " في مدة حكمه حروب و فتن داخلية كان لها دور في هلك الزرع

<sup>1</sup>الوزان: المصدر السابق، ج2، ص466.

<sup>2</sup>يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص576.

و الضرر بالفلاحة<sup>1</sup> ، ويحكى لنا ابن العباس أحوال مدينة تلمسان : " و في هذه السنة كانت المجاعة العظيمة بالمغرب وعمّ الخراب به فوردت تلمسان و الحالة هذه و أقمت بها قرب شهر غير واجد للطريق و كان وزيرها اذا استشرته في الخروج منعي و تبرأ مني ، فكثرت علي النفقة و بلغت المعينة منها فيما لا بد منه لعيالنا و من تعلق بنا أربعة دنانير ذهب في صبيحة كل يوم دون المزية العظمى و اليد الكبرى التي يجعل علينا من بيع لنا الطعام"<sup>2</sup>

ثانيا: الأوبئة :

### 1- طاعون سنة 749 هـ - 1349 م

شهدت البلاد العربية و الغربية ظهور أمراض و أوبئة مختلفة ربما كان للحروب دورا فيها ، ويعتبر الطاعون من أشد هذه الجوائح فتكا و قد عرف المغرب عامة و تلمسان خاصة هذا الوباء عدّة مرات

وكان يظهر كل عشرة سنوات أو خمس عشرة سنة تقريبا ، وكان عندما يأتي يذهب بالعدد العديد من الناس على حد تعبير الوزان<sup>3</sup> . وقد عاشه المؤرخون و منهم ابن خلدون الذي عايش هذه الفترة فقال عنه "...نزل بالعمران شرقا و غربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف منه الأمم و ذهب بأهل الجليل ، وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحامها ، جاء للدول على حين هرمها ، وبلوغ الغاية في مداها ، فقلص من طلالها ، وقلّ من حدّها ، وأوهن من سلطانها ، وتداعت الى التلاشي و اضمحلال أحوالها و انتفض عمران الأرض انتفاض البشر ، فخربت المصانع و درست السبل و المعالم ، وختل الديار و المنازل ، وضعفت الدول و القبائل و تبدل الساكن و كأن بالمشرق قد نزل

<sup>1</sup> خالد بلعربي : المجاعات و الأوبئة بتلمسان ، دورية كان ، ع4 ، ص 5 .

<sup>2</sup> أبي العباس أحمد الخطيب (ابن قنفذ القسنطيني) : انس الفقير وعز الحقيّر تع محمد الفاسي ، جامعة محمد الخامس ، كلية الأدب ، ص 126 .

<sup>3</sup> الوزان : المصدر السابق ، ص 89 .



وقد داهم أيضا مرض الطاعون "المدينة المنورة" في هذه السنة رغم ما أوردته الأحاديث أن المدينة لا يصيبها هذا الوباء ، عن أبي عسيب : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : "أتاني جبريل بالحمى و الطاعون فأمسكت الحمى بالمدينة ، و أرسلت الطاعون الى الشام "

لكن قد قيل انه قد دخلها بعد ذلك "في الطاعون العام" الذي وقع في سنة تسع و اربعين وسبع مائة ، وبعد ذلك فان ثبت ذلك فلعله لما انتهك من حرمتها بسكنى الكفار فيها و خصوصا في زماننا هذا <sup>1</sup>

وقد عاشت مدينة تلمسان سنة 750 هـ أيضا هذا الوباء فقضى على الكثير من خلقها و هذا أثناء فترة حكم السلطان الزياني أبو سعيد عثمان الثاني ، ف ضرب العامة و الخاصة منهم علماء تلمسان الذين أوردتهم بعض المصادر <sup>2</sup> ، ومنهم ابن الخطيب الذي عاصر هذه الفترة فقال " كان لحجاج بن يوسف بن يحيى حفيد العالم النفريسي أولاد انقرضوا في هذا الوباء "<sup>3</sup>

كما كان عالم تلمسان أبو موسى عيسى أحد ضحايا هذا الطاعون ، و الفقيه ابو عبد الله محمد بن يحيى النجّار و غيره عن بقية العلماء و الأهالي .

وإذا كانت المصادر لم تعط لنا نوعه الا أن من عاشوا الفترة قد وصفوا أعراضه فقال ابن الوردي " أن من يصاب به يضلّ يبصق دما و يبقى على حاله حتى يموت بعد يومين أو ثلاث "<sup>4</sup> ، و لم يختلف عنه المقرئ في ذلك .

أما ابن خاتمة فقال أنه حمى خبيثة دائمة من سوء مزاج قلبي ، مهلكة في الغالب يتبعها كرب ، و عرق ، غير عام لا يعقب راحة ، ترتفع عقبه حرارة ، وقد يتبعها تشنج و برد في الأطراف ، و قي مراري سمج و عطش <sup>5</sup> ، الى باقي الأعراض التي وصفها الأطباء .

<sup>1</sup> ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ص 199 .

<sup>2</sup> فيلالي: المرجع السابق ، ج 1 ص 128 .

<sup>3</sup> خالد بلعربي : المجاعات و الأوبئة بتلمسان ، ص 5.

<sup>4</sup> رائد عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص 6 .

<sup>5</sup> سمية مزدور : المرجع السابق ، ص 141 .

- لم تحدد المصادر أسباب تفشي الطاعون في العالم بصفة خاصة إلا أنها أرجعت بعضها إلى الحروب القائمة أو في التنقلات البحرية عبر الموانئ و يمكن أن تلمسان قد أصابها هذا الوباء من إحدى السببين المذكورين إلا أن هذا يبقى احتمالاً وارداً فقط ، فالوباء قد عمّ كل منطقة من الأرض و قد سماه العلماء الطاعون الجارف ، الطاعون الأسود ، الفصل الكبير ، سنة الفناء

## 2- طاعون 764-465 هـ/1363-1364م:

- تعد هذه السنوات الأشد وطأة لعودة الطاعون على سائر الأمصار العربية والغربية ، فلقد عرفت أوروبا عام 760 هـ ، موجة جديدة لهذا المرض ثم فرنسا وإنجلترا عامي (760-770 هـ) <sup>1</sup> . ولكنه في سنة 764 هـ شمل البلاد العربية ويضيف ابن الخطيب في قوله: وظهر الطاعون بأرض مكناسة وفاس وتازا، وما إلى ذلك عن باقي البلاد العربية من القاهرة والاسكندرية وبرقة .والقدس والجزائر أثناء السلطان في عهد الحاكم الزياني أبو حمو موسى الثاني <sup>2</sup> ، وترجع بعض المصادر أسبابه إلى فعل الإنسان كالحروب في حين نجد ابن الخطيب يرجع سببه إلى الفتن إذ يقول: " كونها لم تستأثر بلالة رحمة مما قسم الله لغيرها إلى ما أصابها من معرّة الفتنة إلى هذا العهد واستهدف بها إلى مملكة فشوا الموتان" <sup>3</sup>

- وربما كان للمجاعة دور في ظهور مرض الطاعون، والتي يرجع أسبابها إلى الصراعات الداخلية بين أفراد الأسرة الحاكمة وبين دولة بني مرين وتزامنت حدوث هذه الكوارث مع انتقال زمام الحكم من أمير إلى آخر، أو من عصبية إلى أخرى وفي هذا الصدد كان المغاربة في ضيق جراء القحط الشديد الذي ألم بهم عقب السلطان أبي زيان إلى السلطة عام 763 هـ ويضيف البياض أنه نظرا للاستفحالة فقد ترتب عنه وباء الطاعون الذي تفشى بسرعة قياسية في بعض المدن الأهلة بالسكان.

<sup>1</sup> خالد بالعربي: المرجع السابق، ص5.

<sup>2</sup> رائد عبد الرحيم: المرجع السابق، ص6 .

<sup>3</sup> ابن الخطيب (لسان الدين): نفاضة الجراب في علالة الإغتراب. تق ، تح: السعدية فاقية ، ج3 ، ص61.

- وفي هذا السياق رصد ابن هيدرو الاسباب الموجبة لاندلاع الوباء فيجد الغلاء عنصرا فعلا فيها إذ قال: "إذا كان الغلا وطال واشتدت أسبابه لزم عنه الوباء".<sup>1</sup>

### 3- طاعون سنة 845 هـ / 1447 م

ظهر هذا الوباء في المغرب كافة و لقد زار ابن الخطيب مدينة فاس فقال " ووجدنا الطاعون في بيوتهم قد نزل و احتجز منهم الكثير الى القبور و اعتزل و يقر و يزل ، واحتجز و اختزل فلا تبصر الاميتا يخرج ، وكميت الى جنازة يسرج و صراخا يرفع ، و عويلا بحيث لا ينفع"<sup>2</sup> وكان قد ضرب المغرب الأوسط في عهد السلطان أبو العباس أحمد العاقل بن أبي حمو موسى الثاني وقد فتك بفقهاء تلمسان أحمد بن محمد بن عبد الرحمان الشهير بابن زاغو توفي سنة 845 هـ<sup>3</sup> ، و انتشر في المدينة فأتى على العامة و الخاصة بدون منازع<sup>4</sup> ، و رغم أن المصادر قد ارجعت طاعون الأعظم الذي وقع في سنة (749-750 هـ) الى أسباب سياسية الا أن هذا قد مسّ البلاد في حال مستقرة و رخاء لم تعرف حالة الجوع فيما ترجع أن انتقال الوباء الى المغرب الأوسط بالسفن الواردة من أوروبا حاملة معها جرثومة "يارسين" اما عن طريق القوارض أو من البحارة<sup>5</sup> . و لقد أطلقت عليه المصادر "بتقصيص الضفرة"<sup>6</sup> .

### ثالثا: النتائج

من الواضح أن المجاعات والأوبئة قد تؤثر بشكل مباشر على المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للدولة فالمجاعات قد تمس طبقة معينة على وجه الخصوص، أما الأوبئة فقد مست جميع الطبقات دون استثناء ويمكن ذكر بعض نتائج منها:

<sup>1</sup> عبد الهادي البياض : المرجع السابق: ص32.

<sup>2</sup> ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج3 ، ص 90 .

<sup>3</sup> بركات اسماعيل: المرجع السابق : ج 1 ، ص 114 .

<sup>4</sup> فيلاي: المرجع السابق : ص 126 .

<sup>5</sup> خالد بلعربي: المرجع السابق ، ص 5 .

<sup>6</sup> سمية مزدور: المرجع السابق : ص142 .

## 1 اقتصاديا :

اعتمد الاقتصاد الزياني على الفلاحة والزراعة ولقد تسببت المجاعات في تعثر الاقتصاد وركوده في فترة الازمة التي عاشتها البلاد وقد كان الغلاء أحد مظاهره الذي برز بشكل ملحوظ في هذه الفترة وقد كانت المجاعة التي حدثت في سنة 698هـ قد شهدت غلاء في الاسعار ولقد أورد هذا ابن خلدون في قوله: "وغلّت اسعار الاقوات والحبوب وسائر المرافق مما تجاوز حدود العوائد"<sup>1</sup>، ويضيف التنسي أنه قد بلغ فيها الرطل من الملح دينارين وكذلك الزيت والسمن والعسل واللحم<sup>2</sup>، وقد علق ايضا الوزان على هذا الوضع إذ قال: "بلغ الغلاء درجة كبيرة جعلت كيل القمح يصل إلى سعر قدره ثلاثون درهما<sup>3</sup>، ولكن هذا الارتفاع انخفض بعد رفع الحصار وقد أشار ابن خلدون لهذا فقال: "ففي ساعة واحدة بيع مد القمح ثمانية صيعان بدينار والشعير ستة عشر صاع بدينار"<sup>4</sup>، وفي سياق آخر للوزان: "وهكذا تحولت مجاعة الامس إلى رخاء عظيم"<sup>5</sup>

أما ما يخص مجاعة 767هـ فلم تعرف غلاء للأسعار وهذا ما أخبرنا به ابن خلدون عن ابي حمو موسى الزياني الثاني أثناء هذه الازمة عندما قام بالأمر بفتح اهراء الزرع واطاحة بيعه للناس كما أمر بالخط من سعره رفقا بهم<sup>6</sup>، والذي اعتبر من واجبات السلطة اتجاه رعيتها وفي هذا السياق اورد العقباني نازلة عن الاحتكار لزمن المخصصة وهذا لحاجة الناس وقيمة الاسعار تخضع للظروف التي تسودها البلاد سواء الطبيعية او السياسية<sup>7</sup>.

أما عن حالة الاسواق فقد شهدت هذه الحركة ليست بالجيدة وقد عبر ابن خلدون عنها في قوله: "غلت الاسعار واستهلك الناس أموالهم وموجودهم وضائق أحوالهم"<sup>8</sup>، فغلقت المحلات لقلة المبيعات لعدم

<sup>1</sup> ابن خلدون: المصدر السابق، ج 7 ص 128 .

<sup>2</sup> التنسي: المصدر السابق، ص 242.

<sup>3</sup> الوزان: المصدر السابق، ج 2 ص 18.

<sup>4</sup> يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1 ص 211.

<sup>5</sup> الوزان : نفسه .

<sup>6</sup> يحيى ابن خلدون: المصدر السابق ، ج 2 ص 578.

<sup>7</sup> العقباني: المصدر السابق ص 252 .

<sup>8</sup> ابن خلدون: العبر ، ج 7، ص 128.

وصول القوافل التجارية<sup>1</sup>، فاصبح تجار الحوانيت يقتصرون على أنواع محددة من المنتوجات كما زادوا من قيمة سعرها ولعل هذا ما أجبر الناس على تناول نوع واحد من الطعام اضافة إلى نقص الامن وانتشار حالة الفوضى في اسواق الدولة وهذا لعدم توظيف أمناء السوق الذين يحرصون الاسواق في ظل هذه الظروف، بالإضافة إلى تدهور المخزون النقدي وضرب السكة وتقلص الزراعة والصنائع<sup>2</sup>

بالإضافة إلى الحركة التجارية التي اعتمدت على اليد العاملة فالمجاعات والحروب أدت إلى ما يسمى بالتراجع الديمغرافي والذي ينتج عنه الوفيات وبالتالي فإن قلة اليد العاملة تؤدي إلى شل هذه الحركة، أيضا بالحديث عن فئة التجار التي ساهمت في زيادة النشاط الاقتصادي فإن المجاعات جعلت من هذه الطبقة تتقلص فممنهم من هاجر ومنهم من مات والكثير منهم تجمد نشاطه بسبب الحصار.

## 2 اجتماعيا:

من النتائج التي تركتها المجاعات على مجتمع تلمسان اثناء الفترة الزيانية الوفيات و ظاهرة الفرار و الهجرة بالإضافة الى ظهور بعض افات في المجتمع كالسرقة و قطع الطريق و غيرها كما لا ننسى ظهور في المقابل قيم برزة اثناء معاناة المجتمع الزياني كالتكافل و العطاء

بالإضافة الى العامل النفسي الذي اثر على العباد كالخوف الذي انتشر جراء هذه الظواهر و منها الجوع و الوباء .

أ - الهجرة<sup>3</sup> : إن الهجرة كظاهرة اجتماعية حدث متجدد تحسبا لظروف سياسية في منطقة ما و هي الهروب من وضع للبحث عن وضع احسن سواء في طلب العيش او العلم .

<sup>1</sup> حساني مختار: المرجع السابق، ج2 ص71.

سمية مزدور: المرجع السابق، ص207.

<sup>2</sup> سالم حميش: الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ- دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت د-ط، دس ص61.

<sup>3</sup> يعبر عن الهجرة عن حدث يحصل أكثر من مرة لفرد ينتمي لزمرة ما، ينظر إلى يونس أنكادي: مفاهيم ديمغرافية: الحدث الديمغرافي والظاهرة الديمغرافية، مجلة كنانيش، العدد(03) ص206.

الا ان الهجرة التي يتكلم عنها بحثنا في بسبب الجوع و الوباء فإنها اعتبرت ظاهرة تسبب خلالها عمرانيا<sup>1</sup>.  
فمثلا هروب السكان من الارياف إلى المدن أو هروبهم إلى مناطق صحراوية بعيدة عن مناطق المجاعات والأوبئة.

بالإضافة إلى الهجرات الخارجة حتى وإن كانت عكسية قادمة وليست خارجة لان أغلب المصادر تشير إلى أن منطقة المغرب كانت منطقة جذب وليس طرد.

ونظرا للحالة السياسية التي شهدتها المغرب الاوسط فنرى بعض فنرى بعض هجرات الفقهاء والصلحاء ومن بين هؤلاء: أبو عبدالله محمد ابراهيم الآبلي<sup>2</sup> الذي خرج مشرقا للحج بسبب الحصار الكبير ، ايضا قد هاجر محمد المكودي الى غرناطة فارا من هذا الحصار .

- أما الهجرة بسبب الاوبئة فلم تشر المصادر لهذا بشكل مباشر رغم هجرة البعض من المناطق التي تقع فيها الاوبئة فارين منها الى مناطق اخرى و لهذا فأنا نجد بعض الفقهاء يحثون على عدم الفرار في زمن الوباء وتسليم لأمر الله تعالى و البقاء للكافل مع المرضى والاهتمام بهم و اعتروه امر واجب ، و قد اورد الونشريسي في احدى نوازله عن هذا عند حدوث الطاعون في سائلة : على من وقع فيهم الوباء ففرو عن بعض ، ماذا يجب عليهم من حقوق لإخوانهم فأجاب : أن القيام بواجب التمريض و الغسل و الدفن فرض لا يجوز إهماله<sup>3</sup>.

وفي سائلة اخري عن الفرار من الوباء فقد كان جوابهم بناء على قوله (ص) "إنه رحمة بكم ودعوة نبيكم و موت الصالحين قبلكم فلا تتفرقوا عنه "

<sup>1</sup> مزدور: المرجع السابق ص238.

<sup>2</sup> ابراهيم الآبلي: (681-757هـ) أصله الاندلس ونشأ بتلمسان، عكف على التدريس، ينظر إلى التنيكي: نيل الابتهاج ص411.

<sup>3</sup> الونشريسي : المصدر السابق، ج11، ص 358 .

وقد اختلفت أقوال العلماء في هذا على ان يخرج الانسان من البلد جملة و يقصد به جماعة و إما ان يبقى فيه و يترك القيام بما يجب<sup>1</sup>

و سواء كان الهرب و الفرار من هذا المصاب الى خارج هذه الأرض فأن الوباء على العموم يصيب معظم الناس لذا فأننا نجد فئة الفقهاء و العلماء دون غيرهم الأكثر معرفة بضرورة الصبر على البلاء و مثال هذا والد ابن قنفذ<sup>2</sup> عندما اعد لموته بالوباء و هذا دليل علي الايمان

و بالحديث عن هجرات سكان المغرب الاوسط فلم تكن إلى مناطق أبعد الآن تحركاتهم كانت داخلية لمحدودية عدد السكان فيه مقارنة مع الاندلس و المغرب الاقصى ، و قد برز أثر هذه الهجرات خاصتا اثناء الازمات في تغيير الخارطة السكانية لان المغرب الاوسط و تلمسان خاصة كانت موقع جدل و مقصد الكثير من العلماء و التجار و الناس من العامة و الخاصة .

#### ب/ الوفيات :

تعتبر ظاهرة الوفيات<sup>3</sup> حدث غير متجدد يحدث للفرد فالوفيات حدث محل ناتج عن ظاهرة محلة كظاهرة المجاعات و الأوبئة، و هذه الأخيرة خلفت عددا كبيرا من ضحايا تمدنا المصادر صورة واضحة حول الإحصائيات التي خلفتها المجاعات و كثيرا ما كانت الصراعات العسكرية سببا هي أخرى في كثرة الوفيات و تتعاده إلى حصار المدن لإحكام السيطرة عليها.

و لنا أن نتصور عملية النهب و القتل و التخريب التي تصاحب عمليات الاقتحام لهذه المدن المحاصرة و يضيف يحي ابن خلدون الوضع بقوله : " و أدار على تلمسان نطاق الحصر فأطاعته قبائل أهل الشرق

<sup>1</sup>الونشريسي: المصدر السابق، ص359.

<sup>2</sup>مزدور: المرجع السابق، ص210 - ابن قنفذ، انس الفقير ص87

<sup>3</sup>يوسف أنكادي، المرجع السابق، ص107.

كافة و حواضره جملة، و أمر هذا الحصار في إضافته بأهل البلاد و غلاء الأسعار فيه، و موتان الناس بالجوع و الأسلحة<sup>1</sup>.

و يضيف لنا حصيلة و ضحايا هذا الحصار بقوله: " بلغ فيه عدد موتى أهل تلمسان قتلا و جوعا زهاء مائة ألف و عشرون ألف<sup>2</sup>."

- و أما الناتج التي خلفها الطاعون فقد سجل ابن خاتمة عن إحصائيات مشيرا أنه لم يضرب بقوة إلا في الأحياء الفقيرة، فسجل ضحايا سبعة مائة شخص<sup>3</sup>.

و يضيف ابن خلدون في الحديث عن ما خلفه الطاعون الجارف من وفيات في قوله: " و ذهب بالأعيان و الصدور، و جميع المشيخة، و هلك أبوي رحمهما الله<sup>4</sup>، و أبو عبد الله موسى عيسى بن الإمام، و أبو عبد الله محمد بن النجار، و حسن بن علي بن الخطيب و ولد ابن القنفذ ( ينظر الملحق رقم 04).

بالإضافة إلى طاعون 764 هـ الذي هلك الكثير منهم أحمد بن أبي زاغو، ينظر الملحق (رقم 04).

### 3 سياسيا :

من المعلوم أن نتيجة لكل ازمة سواء حرب أو مجاعة هو تزعزع الكيان السياسي للدولة مما يؤثر سلبا على استقرار البلاد، لكن في بعض الاحيان نجدها قد تحدث بالإيجاب في ميادين ، لن تصلح أحوال الدولة.

فالمجاعة التي شهدتها تلمسان نتيجة الحصار كانت قد انعكست بشكل سلبى على المجالات بشكل عام ولكن سرعان ما تم احيائها من جديد من خلال اصلاحات قام بها أعيان السلطة ونذكر منها:

<sup>1</sup> يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 210.

<sup>2</sup> نفسه، ص 211.

<sup>3</sup> سالم حميش، المرجع السابق، ص 62.

<sup>4</sup> ابن خلدون : التعريف بابن خلدون و رحلته غربا و شرقا، دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر، 1979، ص 57.

- استرجاع الاراضي التي فقدتها الدولة من خلال مقاتلة القبائل المعادية كبنعتوجين ومغراوة وضمها اليها وهذا لاما قام به ابو زيان وأخوه أبو حمو<sup>1</sup>.

- إصلاح ما خلفه الحصار كتوفير المؤونة من خلال فتح إهراء الزرع وتخفيض الأسعار، وتقديم الاعانات للمحتاجين.

أما مجاعة التي كانت في سنة 776هـ فمن ناحية أن أبو حمو موسى الثاني تعاطف مع الرعية من خلال مساعداته الجممة<sup>2</sup> فالملاحظ أنه ليست لكل مجاعة أو حرب قامت آثار عكسية وهذا ما ذكرناه أعلاه غير ما حدث جراء الحصار بين بني زيان وبني مرين، أما غير هذا فلم تكن هذه النتائج مضرّة لحد ما لأنه سرعان ما تسترجع قوتها ونفس الكلام بالحديث عن ما تخلفه الاوبئة على الوضع السياسي فنجد أنه من المنطقي ان السلطة تسعى للواجب مع الرعية، وبالتالي علاقات ودية تخلو تقريبا من اي نوع من النزاع.

#### 4 الآثار النفسية :

من الملاحظ أن المجاعات والأوبئة أحدثت نوعا من اللأمن والخوف لدى سكان المغرب الاوسط، لا مما جعل بروز للبعض الظواهر الاجتماعية ، نذكر ظاهرة السرقة ، شهد المغرب بعض اللصوص وقطاع الطرق، ومن هنا يتضح انعدام الأمن في الطرقات، وفي هذا يقول ابن قنفذ<sup>3</sup> : " وارتحلت بعد أيام يسيرة ورأيت في طريقنا من انقلاب الشر خرا ما كان يتعجب به من شاهده وكان أمر الطريق في الخوف والجوع ما مقتضاه أن كل من يقع قدومنا عليه يتعجب في وصولنا سالمين ثم يتأسف علينا عند ارتحالنا حتى أن منهم من يسمعنا ضرب الأكف تحسر علينا . " ويؤكد ذلك العبدري في رحلته التي مر فيها بالمغرب الاوسط، فلم يستطع الخروج من تلمسان وهي في حالة الشدة نظرا لصعوبة الطريق المليء بقطاع الطرق ممن وصفهم بأشنع الوف قائلا: " ثم وصلنا إلى تلمسان نيتي أن أقيم فيها مدة حتى أجد صحبة قوية أقطع معها المفازة التي في طريقها إلى الرباط تازا وهي متقطعة موحشة لا تخلو من قطاع الطرق

<sup>1</sup> مختار حساني: المرجع السابق ج1 ص11.

<sup>2</sup> يحيى ابن خلدون: المصدر السابق ج1 ص576.

<sup>3</sup> ابن قنفذ : المصدر السابق، ص126.

البئة، وهم بها أشد خلق الله ضررا وأكثرهم جراءة وأقلهم حياء ومرؤة لا يستقلون القليل ولا يعفون عن ابن السبيل، ليس في أصناف القطاع أحسن منهم همما، ولا ينبغي لمسلم ان يغرر بلقائهم" <sup>1</sup> ، ظلت هذه الفئة منتشرة أثناء الازمات فالرغم من حرص لفقهاء على الحد أو التقليل من هذه الظاهرة إلا أن الناس ظلوا يسرقون وينهبون لكي يسودوا جوعهم، فنظرا للحالة التي آلت اليها البلاد أيام المجاعات والابئة، فكانت هذه الظواهر ما هي إلا ردود أفعال ، بسبب المجاعات والابئة.

الحالة النفسية التي تحلى بها مجتمع المغرب الاوسط زمن المجاعة، في هذه الحالة يفقدون أعصابهم والقدرة على التحكم في تصرفاتهم، فتصدر منهم سلوكات غير طبيعية، وفي هذا نازلة سئل عنها الفقيه المجتهد أبو الفضل العقباني جاء فيها: " عن رجل أصابته المسبغة فيها فرط من الزمان حتى أشرف على الهلاك ولم يكن له عقل إلا في بطنه، و درى كلام بينه وبين أخيه على سبب المعيشة فغيظه الحال وكان يمر عليه بما عنده من لبن لم يكن عنده غيره، فحلف بالأيمان ام ازم لا شرب له لبن واشتد الامر عليه فخاف اخوه عليه من الهلاك بالجوع ويكون حكمه حكم من ذهب عقله لان الجوع يذهب العقل، وفي هذه السنة مات خلق كبير، ولم يزل الرجل ينادي بالطعام حتى تزهق روحه، فأجابه: الحمد لله قد وقع الحنث بشربه اللبن المحلوف عليه" <sup>2</sup>.

فحالة الخوف التي كانت تعترى الناس زمن المجاعة، جعلتهم يخافون على أنفسهم وخوف على مصيرهم بعد الممات.

وما يمكن قوله عن الاثار النفسية التي خلقتها المجاعات و الوبئة والتي تتخلص في انعدام الامن والذي كان المتسبب الحيد في انعدامه هو ظهور الآفات المتطرفة، التي كانت نتاج للحالة المتدهورة التي آلت اليها بلاد المغرب الاوسط، بعض فئات المجتمع الفقيرة بحكم الوضع.

<sup>1</sup> العبدري: المرجع السابق ، ص ص، 1.13321

<sup>2</sup> الونشريسي: المصدر السابق ، ج4، ص290

## رابعاً: الإجراءات المتخذة أثناء المجاعات و الأوبئة

## أ\_ دور السلطة

إن حجم ما خلفته المجاعات وكذلك الأوبئة التي وقعت في تلمسان الزبانية كبير فقد راح فيها خلق كثير من البشر والحيوان مما جعل من السلطة الزبانية بضرورة القيام بأقصى الجهود، والذي يعتبر أمر واجب خاصة في فترة المحن، وهذا ما أوصى به السلطان أبو حمو موسى ابنه في قوله: " إن كان زمن القحط ومحل ومجاعة واقعة وأزل فترق بهم في المخازن والمجالي وتحسن لضعفائهم وتحابي ، وتوترهم مما ادخر لشدائدهم في زمان الرخاء من فوائدهم".<sup>1</sup>

وهذا ما قام به السلطان أبو حمو موسى الثاني أثناء المجاعة التي وقعت في سنة ست وسبعين وسبعمائة حيث تصدق بنصف جبابته على الضعفاء، كما فتح أهراء الزرع وتخفيض سعره رفقا بهم.<sup>2</sup>

إضافة إلى قيام السلطة بالاحتياطات اللازمة تحسباً لمثل هذه الظروف و التقليل منها وهذا ما حدث بعد رفع الحصار على تلمسان حيث ام أبو حمو موسى الاول بالأمر بحفر الخنادق لتخزين الطعام من الإدام والملح، والفحم والخطب مالا حد له و لا حصر على حد تعبير التنسي.<sup>3</sup>

- كما أبرز الفقهاء اهتماماً أكبر بالدعية أثناء هذه الظروف لانهم ادري الناس بأداء هذا الواجب لان الشرع امر بالتعامل مع الضعفاء وكما نعلم أن المجاعات أثرت بشكل كبير على الطبقة المسورة من المجتمع لذا فإن عملهم انحصر على تقديم المساعدات المالية وكذلك كان الفقيه والولي الصالح أبو زيد عبدالرحمان بن يعقوب حيث كان يقدم طعامه وطعام عياله للمحتاجين الذين تأثروا بالمجاعة وكذا الشيخ الصالح الامين أبي عبدالرحمان النجار والذي كان يكثر من الصدقات على الطلبة والفقراء.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> أبو حمو موسى: المصدر السابق ص101.

<sup>2</sup> يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص776.

<sup>3</sup> التنسي: المصدر السابق ص ص145,146.

<sup>4</sup> فيلاي: المرجع السابق، ج1، ص128.

إضافة إلى الموقف الفقهي الذي اتخذته رجال الدين من خلال منع التجار من الاحتكار في زمن المسبغة والحث على إخراج المؤن وبيعها في الحوانيت<sup>1</sup>، والامر بتسعير أنواع الطعام.

بالإضافة إلى قضايا عديدة في ظل هذه الظروف، وحتى في زمن الوباء فعلى سبيل المثال أن موت الوباء أوصوا للأسارى وغيرهم فأفتوا في هذا<sup>2</sup>، فهذا يدل على أن أعمال الرعية لم تخص بالتحديد الفقهاء بل كل من يملك مالا أو أرضا أو أملاكاً آخر يتبغي بها وجه الله تعالى .

كما كان الناس في زمن الوباء يدخرون ممتلكاتهم عند الصلحاء.

وهنا يقول نفح الطيب أن محمد بن أحمد وهو من أشياخ لسان الدين الطنجالي الهاشمي وأنه كان صالحا وورعا، وفرغ الناس إليه في كائنة الوباء العظيم بأموالهم وقلدوه بها عهدود صدقاتهم فاستقر في يده ما تضيق منه البيوت<sup>3</sup>.

### ب\_ دور الاوقاف:

لعبت الاوقاف دورا هاما في توفير الرعاية الاجتماعية للفقراء والمرضى والتخفيف من معاناتهم، وتحقيق مبدأ التكافل الذي حث عليه الإسلام<sup>4</sup>، حيث تعتبر مؤسسة تتلقى الدعم المالي من الدولة والاعنياء، والاراضي الموقوفة، وتكمن خدماتها في تقديم المساعدة لمختلف الناس المحتاجين وخاصة المتضررين من الكوارث والازمات البيمارستانات<sup>5</sup>، وقد تنوعت الاحباس أو الاوقاف في المغرب عامة إلى أحباس المساجد والمدارس، والأضرحة والزوايا ومن أحباس المدارس والمساجد يذكر أن السلطان محمد بن موسى

<sup>1</sup>العقباني: المصدر السابق، ص ص 152، 153.

<sup>2</sup>الونشريسي: المصدر السابق، ج، 10 ص 297.

<sup>3</sup>أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ISLAMIC BOOK.WS، ص 1583.

<sup>4</sup>كمال السيد: المرجع السابق، ص 28.

<sup>5</sup> البيمارستانات: وهي مؤسسة خيرية يقوم بها بتشبيدها السلاطين تكتسي هذه المؤسسة أهمية قصوى داخل المجتمع. توجد هذه في

المدن والحواضر، ينظر إلى الفيلاي: المرجع السابق، ج 1، ص 113.

بن زيان على مدرسة ومسجد بمدينة تلمسان وكان ما يتوفر من ربع تلك الاحباس يصرف في الاعمال الخيرية<sup>1</sup>.

وكذا أحباس الزوايا كلها لها مراد يهدف إلى التعاون الاجتماعي.

## 5\_ مواجهة الاوبئة:

- شهد المغرب الاوسط كغيره من البلدان عدة أمراض وأوبئة فتاكة ولا بد من مواجهة هذه الاخيرة بشتى الطرق، وكما نعلم أن بلاد المغرب الاوسط غنية بالغطاء النباتي، مما يحتويه على العديد من الاعشاب الطبية المهمة ، والتي تدخل في استحضر العديد من الادوية المركبة البسيطة.

- ونظرا لأن الاطباء المسلمين قد حددوا أسباب هذه الاوبئة في فساد الهواء والغذاء والمياه، فإن محاولة العلاج التي كانت كلها منسبة على اصلاح العناصر الثلاثة، وينصح الأطباء ايضا في ازمنة الوباء بشم الروائح مثل الورد ، والكافور ، والصندل.

وعن علاج اصلاح الهواء عموما ، فقد روي عن العرب الذين يجلبون العبيد والجواري من بلاد السودان انهم كانوا اذا وقع الطاعون في ارضهم فانهم يجمعون العظام و الاضلاف والقرون والحطب وكانوا يقيدونها على رؤوس الجبال وفي بطون الأودية وينشرون رمادها ويجلسون تحت ريجها ليغيروا ما فسد من الهواء ويستمرن في فعل ذلك مدة ايام من الوباء<sup>2</sup>.

وبالإضافة الى الطرق الاخرى كتخفيف الدم بفصد العروق والحجامة<sup>3</sup>، والواجب هنا لعلاج بعض الامراض هو الاخذ بنصائح الاطباء وبما يخص وباء الطاعون فقد أفادنا حسن الوزان إلى طريقة علاجه

<sup>1</sup> الونشريسي: المصدر السابق، ج7، ص237.

<sup>2</sup> سمية مزدور : المرجع السابق، ص 173.

<sup>3</sup> حميش : المرجع السابق ، ص63.

آنذاك فقال: " يذهب بالعديد من الناس لأنه لا يهتم به أحد ولا يستعمل أي دواء دون استثناء التمسح بالتراب الارميني حول رمل الطاعون."<sup>1</sup>

- ومما يتضح لنا أن جهود الاطباء في التخفيف من حدة بعض الامراض كانت ضئيلة ، ولم تحقق الهدف المنشود ما يفسر هذا ربما لعدم توفر هذه الأدوية، وربما لاقترانهم من جهة أخرى بأنها أمراض ليست كسائر الامراض قد تكون مجهولة الاسباب<sup>2</sup>.

أما عن ذكر بعض الأطباء الذين برزوا في هذه الفترة فمنهم : موشي بن صمويل<sup>3</sup> الأندلسي اليهودي ، وابو اسحاق ابراهيم بن محمد التلمساني الثغري<sup>4</sup> ، ايضا عائلة ابن قنفذ وعائلة التالاسي ومنهم ، ابو عبد الله محمد بن ابي جمعة التالاسي<sup>5</sup>.

- وأمام العجز الطبي و الصيدلي ، وبما أن شر المرض مطلق ولا علاج له ، فلا يبقى للمؤمن من سلاح ، في عرف رجال الدين، سوى الدعاء وقراءة القرآن.

<sup>1</sup>الوزان: المصدر السابق، ج1، ص89.

<sup>2</sup> مزبور سمية: المرجع السابق، ص174.

<sup>3</sup> موشي بن صمويل بن يهود الاسرائيلي المالقي الأندلسي اليهودي المتطبب المعروف بابن الاشقر ، يعد من اشهر الأطباء وامهرهم قدوة وحدقا في ميدان الطب ، ولد بمالقة سنة 820هـ/1416م ، اخذ العلم عن ابيه اشتهر بهذه الصنعة في الأندلس ثم انتقل الى تلمسان حيث زاول مهنة الطب وتدرسه للطلاب المهتمين بيه فلازمه كثيرا منهم وتوافدوا عليه من حواضر واقطار مختلفة طلبا لهذا العلم.. ينظر الى فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص124 .

<sup>4</sup> ابو اسحاق ابراهيم بن محمد التلمساني الثغري الطيب الف رسالة اومعجما صغيرا في الطب، استهل معجمه بالأدوية النافعة لبرد الدماغ ، وهي تشمل على اضمدة وأدهان وغيرها تحتوي الرسالة على وصف أدهان واشربة وسفوفات ومعاجين مع ذكر منافعها الطبية كما تتعرض الى بعض انواع العين، ينظر الى ، نفسه .

<sup>5</sup> بو عبد الله محمد بن ابي جمعة التالاسي : من اهل تلمسان كان جراحا ممتازا اختصه السلطان ابو حمو موسى الثاني وكان طبيب البلاط فضلا عن كونه شاعرا مميذا ، ينظر الى ، نفسه .

خاتمة

ان الدولة الزيانية من أهم الدول التي قامت على أرض الجزائر حيث استمرت أكثر من ثلاث قرون من 633-962هـ)، وقد حكمها بنو زيان في تلمسان الذي اعتبرها المؤرخون قاعدة المغرب الأوسط ومنهم ابن خلدون والتي امتدت حدودها من الجهة الشمالية البحر الأبيض المتوسط والجنوبية الصحراء، أما الحدود الشرقية والغربية لم تكن ثابتة لطبيعة الصراعات مع الدولة المرينية في الغرب والحفصية في الشرق لكن المعروف انه يجدها شرقا واد "زا" غربا نهر ملوية .

أما موقعها فهو بين الصحراء والتل ما اكسبها اهمية كبيرة مما جعلها مركز جذب واستقطاب لمختلف الناس من الدول الأخرى وهذا ما شكل لديها مجتمع متنوع الأجناس مختلف الطبقات.

أما الإقتصاد الزياني فنستطيع القول انه مثل الصورة التي عبرت عنها الحالة السياسية للبلاد فان كانت مستقرة فان الإقتصاد يتطور ، وإذا اضطرت الاوضاع وعمت الفوضى والحروب فانه بدوره يكون في تذبذب، أما اذا حدثت المجاعات أو أوبئة وهي ما تحدث في نهاية الدول وضعفها فان الإقتصاد سوف يعرف حالة من الركود.

وان الدولة الزيانية عرفت اوضاعا سادتها الحروب المتواصلة مع الجهة الشرقية والغربية من اجل توحيد المغرب تحت راية كل منهما كون تلمسان عاصمة المغرب الاوسط والسيطرة على اراضيها.

أما عن اسباب المجاعات والابئة فمنها ماهو مباشر كالتى تتسبب فيها الطبيعة التي اساسها تذبذب المناخ الذي قد يؤدي الى كثرة الامطار فتحدث السيول والفياضانات التي تضر بالانتاج الزراعي، وقتلها او انعدامها قد ينتج عنها قحطا اوجفافا وهو ما يهلك الانسان والحيوان والارض كذلك ومنها ماهو غير مباشر كالحروب وكثرة الفتن، والضرائب التي ولدت نوع من العداة ضد حكام الدول والقبائل.

أما أسباب الأوبئة فقد تكون في فساد الهواء والماء اللذان يعتبران أساسيان عند كل كائن حي.

أما أسباب الطاعون فقد أرجعه الفقهاء الى انه وخز من الجان بناء على الاحاديث النبوية.

أما ما خلفته المجاعات والأوبئة من موتى في تلمسان فكانت وخيمة اثرت على ديمغرافية السكان أحدث خلالها في توازن الدولة .

أما اقتصاديا فقد ادت المجاعات الى تراجع هذا النشاط على المستوى الداخلي والخارجي والذي تجسد في ارتفاع قيمة الاسعار وانخفاضها

أما سياسيا فقد مست المجاعات الجانب العسكري بشكل مباشر والذي اعتبر قاعدة الدولة وبتقلصه تضعف قوتها.

أما ما خلفته من اثار نفسية وسلوكات على المجتمع الزياني فقد طهرت في افراد عدا المجتمع كسلوكات لا أخلاقية كتفشي ظاهرة السرقة وانعدام الامن في الطرق وانتشار الخوف، اما القيم الاخلاقية قد تجلت في تكافل السلطة من أمراء الدولة وقضاؤها وعلمائها مع الرعاية بانشاء مؤسسات خيرية وتوزيعهم المال واللباس والغذاء على المعوزين والمحتاجين الذين تضرر اكثر من هذه الازمات فاما الفقهاء فبرز دورهم خلال تقديم فتاوى منها اباحة و التسعير وخفضه ، وتحذير التجار من عدم احتكار السلع ايام المجاعات ومعاقبة كل من تعرض لهذا .

أما الاغنياء من الناس فقد اظهروا نوعا من المساعدات لتحسيس بروح التضامن فيما بينهم

أما الجهود المتخذة لتجاوز ازمة الجوع فقد تجسدت في خفض الاسعار وبناء الاهراء والمطامير وكذا إصلاح ما قد دمرته الحروب.

أما المحاولات التي قام بها الاطباء لتصدي للطاعون او التقليل من قد باءت بالفشل.

# قائمة الملاحق



الملحق رقم 02: جدول لاهم المزروعات في تلمسان، وسعره وقت الغلاء أيام الحصار الطويل سنة 698هـ.<sup>1</sup>

السعر	السلعة
12,5 مثقال	برشالة القمح
6 مثقال	برشالة الشعير
12 درهم	أوقية الزيت
12 درهم	أوقية السمن
2 دينار / رطل	أوقية العسل
20 درهم	أوقية الفول
10 دراهم	الحطب
13 ثمان مثقال	الكرنب / واحد
20 دراهم	الخس / واحد
15 دراهم	اللفت / واحد
40 دراهم	القثاء / واحد
40 دراهم	الفقوس / واحد
3 أثمان دينار	خيار / واحد
30 دراهم	البطيخ
2 دراهم	التين / حبة
2 دراهم	اجاص / حبة
2 دراهم	التمر

<sup>1</sup> بسام كامل : المرجع السابق ، ص 193 .

الملحق رقم 03: جدول يوضح أسعار الحيوانات وقت الغلاء<sup>1</sup>

اسم الحيوان	سعره
البقر	60 مثقال / الرأس
جلد البقر	30 درهم (3/10) مثقال / الرطل
الضأن	7,5 مثقال / الرأس
البغال+ الحمير	1 مثقال / رطل
الخيل	10 دراهم (1/10) مثقال / رطل
الدجاجة	30 درهم (3/10) مثقال
البيضة	6 دراهم
العصفور	6 دراهم
الهر	مثقال و نصف
الكلب	مثقال و نصف
الفأر	10 دراهم (1/20) مثقال
الحية	10 دراهم (1/10) مثقال

<sup>1</sup> بسام كامل : المرجع نفسه ، ص 200 .

جدول يوضح أهم المنتوجات و تسعيرها أيام الرخاء و المجاعة<sup>1</sup> الملحق رقم 04:

الملاحظات	المصدر	السعر أو الكمية	المدنية أو البعد	السنة	المنتوج الزراعي
أيام الرخاء و الإزدهار	يحي بن خلدون ج ١ ص ٩٠	٤٠٠ مد كبير أي ما يعادل ٢٤٠٠٠ برشالة	وهران	١٣٥٧ م / ٧٥٨ هـ	الشعير
		٤٠٠ مد كبير أي ما يعادل ٢٤٠٠٠ برشالة	وهران		البر
		٤٠٠ مد كبير أي ما يعادل ٢٤٠٠٠ برشالة	وهران		البقلاء
يوم واحد بعد خروج المرينيين من تلمسان والحصار الذي فرضوه عليها و الذي دام ٨ سنوات (٦٩٨-٧٠٦ هـ)	يحي بن خلدون ج ١ ص ٢١١	دينار واحد	تلمسان	٧٠٦ هـ	ثمانى صبعان من القمح
		دينار واحد	تلمسان	١٣٠٦ م	ستة عشرة صاعا من الشعير
أيام المجاعة التي أصابت كامل بلاد المغرب	ابن أبي زرع أوض القرطس ص ٤٠٩	١٠ دراهم	كامل بلاد المغرب	١٢٩٣ م / ٦٩٣ هـ	المد الواحد من القمح
		٦ دراهم			ستة أواق دقيق

<sup>1</sup> خالد بلعربي : الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني ، دورية كان التاريخية ، العدد السادس ، ص 5 .

الملحق رقم (05) يوضح أهم المجاعات والأوبئة الواقعة في تلمسان<sup>1</sup>

المصدر	المكان	السنة
المجاعات		
العبر ج 7 ص 128 :_ ابن خلدون يحي بن خلدون ج 1 ص 211 وصف إفريقيا ص 466 :_ الوزان يحي بن خلدون ج 2 ص 576	تلمسان	698 _ 706 هـ  776 هـ

<sup>1</sup> من وضع الطالبتين: قوادي تركية، حمايي ثلجة

الأوبئة		
<p>مقدمة ص: ابن خلدون</p> <p>وصف إفريقيا ج 2 ص 89:الوزان</p> <p>ما رواه الواقون في أخبار الطاعون ص: السيوطي</p> <p>21</p> <p>أنس الفقير وعز الحقيير:أبي العباس أحمد الخطيب</p> <p>بدل الماعون في أخبار: ابن حجر العسقلاني</p> <p>الطاعون ص 199</p> <p>نفاضة الجراب في علالة: لسان الدين</p> <p>الإغتراب ص 61</p> <p>نفسه ص 90: ابن الخطيب</p>	<p>تلمسان</p> <p>تلمسان</p> <p>المغرب</p>	<p>749 هـ / 1349 م</p> <p>764 _ 765 هـ</p> <p>1363 _ 1364 م</p> <p>845 هـ / 1447 م</p>

الملحق رقم 06: جدول يوضح ضحايا الطاعون

<p>- ابن مرزوق : المسند الصحيح 265.          - ابن مرزوق : المناقب المرزوقية ص 33          - ابن قنفذ : الوفيات : ص 358.          - المسند : ابن مرزوق : ص 267          - ابن قنفذ : الوفيات : ص 357          - الفيلاي ج 1 : ص 126</p>	<p>- ابو موسى عيسى بن الإمام بتلمسان<sup>1</sup>  <sup>1</sup>          - أبو عبد الله محمد ابن نجار بتونس<sup>2</sup>          - أبو عبد الله محمد الصفار<sup>3</sup>          - أبو عبد الله محمد بن عبد النور<sup>4</sup>          - حسن بن علي بن الخطيب والد ابن قنفذ<sup>5</sup></p>	<p>ضحايا الطاعون          سنة 749 هـ/ 1348 م</p>
---	--	--

<sup>1</sup> ابنا الإمام : هما ابو زيد عبد الرحمن وابو موسى عيسى ابنا الإمام صالح ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام البرشكيات من اهل برشك ، فقيهان نزلا تلمسان ايام ابو حمو موسى الأول بهما مدرسة سميت بابنا الإمام بكشوط .توفي ابو موسى عيسى بالوباء العام ،للمزيد ينظر الى ابن مرزوق : المسند الصحيح ،ص 265 وما بعدها ، ايضا يحيى ابن خلدون : بغية الرواد ، ج 1 ، ص 130 .  
<sup>2</sup> ابو عبد الله النجار : هو ابو عبد الله محمد بن يحيى بن النجار من بيت امامة وعدالة ، مراكشي النجر ، ساد اهل زمانه في العلوم المعقولة وتوفي في تونس بالطاعون الأعظم سنة 749 هـ .ينظر الى يحيى بن خلدون: المصدر نفسه ، ص.119  
<sup>3</sup> ابو عبد الله محمد بن ابي محمد عبد الله الصفار : مدرس القران الكريم وقد قال ابن قنفذ انه ادركه وهو صغير وقد اختصه والده لتدريس بناته للقران توفي سنة 750 هـ بالوباء ودفن بمسجده بباب القنطرة. ينظر الى ابن قنفذ : الوفيات ،ص.358  
<sup>4</sup> ابو عبد الله بن عبد النور : شيخ عالم وفقهه ولي قضاء حضرته بتلمسان توفي بتونس بالوباء ودفن بالزلاج منها . ينظر الى ابن امرزوق : المصدر السابق ،ص267.  
<sup>5</sup> حسن بن علي بن الخطيب : (680-750هـ) بلغ درجة الاجتهاد المذهبي ،له شرح المدونة وشرح المعالم الفقهية توفي بالوباء الكبير . ينظر الى ابن قنفذ : الوفيات ،ص357.

<p>- ابن خلدون : العبر ، ج 7 ، ص 170</p> <p>- التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 118.</p> <p>- القلقصادي : رحلة القلقصادي ، ص 101.</p>	<p>- يوسف بن يحيى بن يوسف حفيد التفريسي و أولاده</p> <p>- الوزير عبد الله بن مسلم سنة 765هـ بمسيلة<sup>1</sup>.</p> <p>- احمد بن ابي زاغو بتلمسان<sup>2</sup></p> <p>- يوسف بن اسماعيل الزرويدي بتلمسان<sup>3</sup></p>	<p>ضحايا طاعون 764هـ</p> <p>ضحايا طاعون 845هـ</p>
---	---	---

<sup>6</sup> عبد الله بن مسلم : من وجوه بني زردال من بني بادين اخوة بني عبد الواد ، وتوجين ومصاب نشأ عبد الله في كفالة موسى بن علي لعهد السلطان ابي تاشفين ، جعله السلطان ابو حمو موسى وزيرا ، \_عرف بالبسالة والإقدام ، توفي بداء الطاعون ودفن بتلمسان . للمزيد ينظر الى ابن خلدون : العبر ، ج 7 ، ص 165 الى 170.

<sup>2</sup> ابو العباس بن محمد بن عبد الرحمن المغراوي الخزري المشهور بابن زاغو ، امام وولي صالح ، صوفي زاهد له تاليف تفسير الفاتحة - شرح لبتمسانية في الفرائض ، توفي 845هـ في زمن البوء ، ودفن خارج المدينة بطريق العباد . ينظر الى القلقصادي : رحلة القلقصادي ص 105 ، 106 وايضا التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ص 118.

<sup>3</sup> هو ابو الحجاج يوسف ابن اسماعيل المشهور بالزرويدي له مشاركة في علوم الرياضيات توفي بوباء 845 ، ودفن بباب الكشوط يتلمسان . ينظر الى القلقصادي : المصدر السابق ، ص 101.

قائمة المصادر

والمراجع

## قائمة المصادر و المراجع :

### قائمة المصادر والمراجع:

#### أ - المصادر المخطوطة:

1/ السيوطي عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد بن سابق الدين الحضري: ماراواه الماعون في اخبار الطاعون

#### ب- المصادر المكتوبة:

1/ ابن الاحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق، تقديم، تعليق: هانيسلامة، المكتبة الثقافية الدينية لنشر والتوزيع، بورسعيد، 2001م

2/ ابي زرع علي الفاسي: الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط.

3/ الإصطخري ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي: المسالك والممالك، تخفيف: محمد جابر عبد العال الحيني ومحمد شفيق غربال، القاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دار القلم، (د-ت).

4/ التنبكي احمد بابا السوداني: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق: عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، 1989م.

5/ التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التلمساني: مظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعباد، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1985.

6/ ابن الحاج النميري الن عبد الله الغرناطي: فيض العباب ولفاضة قداح العباب في الحركة السعيدة الى قسنطينة وزاب: تحقيق: محمد شقرون، ط1، بيروت دار الغرب الاسلامي، 1990.

7/ ابو حمو موسى الزياني: واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التنوسية، تونس، 1862م.

8/ الحموي ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي: معجم البلدان، دار الصادر، بيروت، 1977م.

9/ الحميري محمد بن عبد الله: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1975.

## قائمة المصادر و المراجع :

- 10/ ابن الخطيب لسان الدين السلماني الغرناطي: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار: تحقيق ، دراسة: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
- 11/ ابن خلدون ابو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الاشيلي: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.
- 12/ العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج6، ج7، 1983م.
- 13/ المقدمة، تحقيق: محمد الاسكندراني، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 2006م.
- 14/ ابن خلدون ابو زكرياء يحيى بن محمد الحضرمي الاشيلي: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق ألفرد بيل، مطبعة فومطانة، الجزائر، 1910م.
- 15/ الرصاع محمد الانصاري التلمساني: فهرست الرصاع، تحقيق: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1967م.
- 16/ العبدري محمد بن علي بن أحمد بن مسعود الحاحي: الرحلة المغربية، تحقيق محمد بم جدو، نشر كلية الآداب الجزائرية، الجزائر، د- ت.
- 17/ ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق: ج س كولان، ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م.
- 18/ العقباني محمد بن أحمد بن قاسم التلمساني: تحفو الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق ونشر: علي شنوفي، في مجلة، العدد 19، 1966-1995م bulletin d etude orientales
- 19/ القلقصادي أبو العباس الحسن علي القرشي البسطي: رحلة القلقصادي، تحقيق: محمد أبو الأحنان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م.
- 20/ ابن قنفذ احمد بن حسن القسنطيني: انس الفقير وعز الحقير، تحقيق: نجاح عوض، ط1، دار المقطم، القاهرة، 2002م.
- 21/ الوفيات، تحقيق: عادل النويهض، ط4، الأفق الجديدة، بيروت، 1983م.

## قائمة المصادر و المراجع :

- 22/ ابن منظور محمد بن مكرم الافريقي: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1968م.
- 23/ الوزان حسن بن محمد المعروف بليون الافريقي: وصف افريقيا، ترجمة: محمد حجي و محمد الاخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983.
- 24/ الونشريسي احمد بن يحي التلمساني: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب: تحقيق: محمد حجي واخرون، دار العرب الاسلامي، بيروت، 1981م.

### ج- المراجع:

- 1/ ابو مصطفى كمال السيد: جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مكتبة الاسكندرية، 1996.
- 2/ الميلي مبارك: تاريخ الجزائر القديم والحديث، تحقيق وتصحيح: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، د-ط، د-س، د-ب، ج.3.
- 2/ ابن حجر احمد العسقلاني : بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق: احمد عصام، دار العاصمة، الرياض.
- 3/ بالعربي خالد: تلمسان من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الزيانية، دار اللمعة للنشر والتوزيع، ط1، د-ب، د-س.
- 4/ بشاري لطيفة: العلاقات التجارية للمغرب الاوسط في عهد امارة بني عبد الواد من ف9-10هـ /13-16 م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والاوقاف بتلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية، 2011م.
- 5/ بو عبدلي لخضر:
- 6/ بوعزيز يحي: موجز تاريخ الجزائر، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1965م.
- 7/ بو لقطيب الحسن: جوائح واوبئة المغرب في العهد الموحد، مطبعة النجاح الجديدة، منشورات الزمن، دار البيضاء، 2002م.

## قائمة المصادر و المراجع :

- 8/ البياض عبد الهادي: الكوارث الطبيعية وأثرها في ذهنيات الانسان في المغرب والاندلس (من ق 6-8هـ/ من 12-14 م)، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2008م.
- 9/ حركات ابراهيم: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ج2، 2002م.
- 10/ حللمي عبد القادر علي: جغرافية الجزائر (طبيعية، بشرية، اقتصادية)، ط1، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968م.
- 11/ حاجيات عبد الحميد: التاريخ السياسي و الحضاري لتلمسان والمغرب العربي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ج، الجزائر، 2011
- 12/ حميش سالم: الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1998
- 13/ حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية، الاحوال السياسية، ج1، منشورات الحضارة، 2009م.
- 14/ حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية، الاحوال الاقتصادية والثقافية، ج2، منشورات الحضارة، 2009م.
- 15/ حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية، الاحوال الاجتماعية، ج3، منشورات الحضارة، 2009م.
- 15/ شاوش محمد بن رمضان: باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.
- 16/ فيلاي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر، الجزائر، 2002م.
- 17/ مصمودي فوزي: تلمسان بعيون عربية، وزارة الثقافة، ط1، 2011م.
- 18/ مؤنس حسين: معالم في تاريخ المغرب والاندلس، مكتبة الاسرة، د- ط، د-ج، د- س.

### ج- المراجع المعربة:

- 1/ بروديل فرنان: المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فليب الثاني، تعريب وايچار: مروان ابي سمرا، ط1، دار المنتخب العربي، بيروت، 1993م.

## قائمة المصادر و المراجع :

### د- الرسائل الجامعية:

- 1/ بركات اسماعيل: الدرر المكنونة في نوازل مازونة ( أبو زكرياء يحيى بن موسى بن عيسى)، رسالة ماجستير في تاريخ الاسلامي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010م.
- 2/ بالغيث محمد الامين: الحياة الفكرية بالأندلس، اطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2002-2003م.
- 3/ بسام كامل عبد الرزاق: تلمسان في العهد الزياني 633-962هـ، رسالة ماجستير في التاريخ بكلية العليا، فلسطين، 2002م.
- 4/ حساني مختار: الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية للدولة الزيانية 633-962هـ/1235-1554م، رسالة الدكتوراه، جامعة الجزائر، 1985-986م.
- 5/ سكاكوجورية: التحولات الإقتصادية في بلاد المغرب بديعة من القرن السادس الهجري حتى اواخر القرن العاشر الهجري (12-16م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الاسلامي، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2017-2018م.
- 6/ علوش وسيلة: الثروة المائية في ريف المغرب الاوسط ( خريطتها، منشأتها، استغلالها) من القرن الاول هجري الى نهاية القرن السادس، رسالة لنيل الماجستير، جامعة قسنطينة، 2012-2013م.
- 7/ مزدور سمية: الجماعات والبيئة في المغرب الاوسط (588-972هـ/1192-1520م)، رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعو قسنطينة، 2008م.

### و- المجلات والدوريات واعمال الملتقيات:

- 1/ انكادي يوسف: مفاهيم ديمغرافية ( الحدث الديمغرافي والظاهرة الديمغرافية) مجلة كنانيش، العدد الثالث، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، 2011م.
- 2/ بلعربي خالد: الجماعات والبيئة بتلمسان في العهد الزياني (698-845هـ/1299-1442م)، دورية كان التاريخية، جامعة سيدي بلعباس، العدد الرابع، 2009م.

## قائمة المصادر و المراجع :

---

3 / طوهارة فؤاد: النشاط الاقتصادي في تلمسان خلال العصر الزياني من (من ق 7-9هـ/13-15م)، مركز الجيل للبحث العلمي، العدد الثاني، جوان 2014م.

الفهرس

البسمة

الشكر والتقدير

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدمة

الفصل التمهيدي: المجاعات والأوبئة (مفاهيم ومصطلحات 633-

962هـ/1236-1554م)

09	أولاً: مفهوم المجاعات والأوبئة .....
09	1- مفهوم المجاعة.....
11	2- مفهوم الوباء.....
12	3- مفهوم الطاعون.....
14	ثانياً: المفهوم الجغرافي لبلاد المغرب وتلمسان .....
14	1- المحيط الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط.....
17	2- حدود تلمسان.....
20	3- الموقع الجغرافي لتلمسان.....
22	ثالثاً: الإطار الزمني لدولة.....

الفصل الأول: الأوضاع السياسية و الإجتماعية والإقتصادية للدولة الزبانية

أولاً: الأوضاع السياسية.....26

1- نسب الزبانيين والتعريف بهم .....26

2- التطورات السياسية.....27

3- المظاهر السياسية.....31

ثانياً: الأوضاع الإجتماعية .....33

الطبقات الإجتماعية

1- الطبقة الخاصة.....35

2- الطبقة العامة.....38

ثالثاً: الأوضاع الاقتصادية .....41

1 - المقدرات الطبيعية.....42

2- الزراعة.....41

3- الصناعات.....55

4- التجارة.....60

الفصل الثاني:أسباب حدود المجاعات والأوبئة

أولاً: الأسباب الطبيعية.....65

65.....1-أسباب المجاعات.....

69.....2-أسباب الأوبئة.....

71.....ثانيا: الأسباب البشرية.....

### الفصل الثالث: المجاعات والأوبئة ونتائجها

80.....أولا: المجاعات.....

82.....ثانيا: الأوبئة.....

86.....ثالثا: النتائج.....

94.....رابعا: الإجراءات المتخذة من طرف الدولة.....

خاتمة

قائمة الملاحق

قائمة المصادر والمراجع

الملخص

### الملخص:

من خلال دراستنا للموضوع المجاعات والأوبئة في تلمسان استخلصنا أن دولة بني زيان مرت بمراحل كانت تعبر عن الأوضاع العامة للبلاد فكانت المرحلة الأولى بمثابة العصر الذهبي الذي عرفت فيه تلمسان رقيا، وتطورا في جميع الميادين، أما في المرحلة الثانية فشهدت نوعا من الاضطراب خاصة على الحياة السياسية مما ولد هذا مجاعات وأوبئة أدت إلى قلب الموازين على الدولة عامة والمجتمع خاصة، لكن المرحلة الثالثة من عمر هذه الدولة اعتبر ضعف ونهاية الدولة، أما أزمتي الجوع و الوباء فلم تكن نتيجة حروب أو غيرها ، فلم تكن تلمسان الزيانية هي المتضررة الوحيدة كونها ظاهرة مست كل الأقطار بلاد المغرب دون استثناء.

### الكلمات المفتاحية:

الأزمة، تلمسان، الغلاء، الأوبئة، المغرب الأوسط،

## Abstract

Through our study of the subject of famine and epidemics in Tlemcen, we concluded that the state of Bani Zyan passed through stages that reflected the general conditions of the country was the first phase as a golden age, which was known Tlemcen and development in all fields, but in the second phase saw a kind of turmoil, especially on political life Which led to the outbreak of famine and epidemics, which led to the balance of balance on the state in general and society in particular, but the third phase of the life of this state considered the weakness and the end of the state, and the crises of hunger and the epidemic were not the result of wars or other, Except The Maghreb train without exception.

### key words:

Crisis, Tlemcen, High prices, Epidemics, Middle Morocco.